

تيسير العقيدة الإسلامية

شرح مختصر على منظومة سلم الوصول

للشيخ:

محمد بن شمس الدين

معلومات الكتاب:

اسم الكتاب: تيسير العقيدة الإسلاميّة

المؤلف: محمد بن شمس الدين

الطبعة: الأولى (الكترونيَّة)

الناشر: ISLAMSPEDIA.COM

الموقع الرسمي للمؤلف: www.MShmsDin.com

يمكن مراسلة المؤلف للشؤون المتعلقة بالكتاب من خلال:

islamspedia@gmail.com

يمكن سماع الشرح بالفيديو من (Youtube) أو تحميله من (Archive)

يمكن تحميل سائر كتب المؤلف من أحد الروابط التالية

(الرابط الأول) (الرابط الثاني) (الرابط الثالث) (الرابط الرابع)

تيسير

العقيدة الإسلامية

شرح منظومة سلم الوصول

صنَّفه:

محمد بن شمس الدين

وفقه الله تعالى

مقدمة الشارح

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى أزواجه وذريته ومن اقتدى به واستنّ بسنّته إلى يوم الدين

وبعد فإن هذا الكتاب علّقت فيه على منظومة سلم الوصول للعلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي –رحمه الله تعالى- وهي من المنظومات التي اشتهرت بين أهل السنّة بصفاء مضمونها، وموافقته لكتاب الله تعالى، وسنّة رسول الله، ومعتقد السلف الصالح، وقد تميّزت مع ذلك بحسن النظم، وسهولة العبارة، واشتمالها على مواضيع تناسب العامّة من الناس، وهذا الذي قصدته من الشرح؛ أن أقدّم شيئًا لأوساط الناس من العوام، ومن غير المختصين، يعرفهم أصول العقيدة، ومهمات مسائلها، دون خوض في مزيد التفاصيل، ولا في الأخذ والرّد في الخلافيَّات، وإنما تقرير المسائل لهم بشكل ميسّر مسهل، ولذا كان الشرح مختصرًا جدًا، اقتصرت فيه على تقرير المسألة بلسان مفهوم للناس -بإذن الله- مع الإتيان بدليلها مِن كتاب الله وسنة نبيّه الكريم ﷺ، ولم أستشهد -كما اعتدت بفضل الله- إلا بحديث صحيح، أما الضعيف فإذا أوردته لسبب ما فإنّي أبيّن ضعفه بإذن الله تعالى.

وذكرت بعض ما نقله أهل العلم السابقين عن أسلافنا رحِمَهم الله تعالى.

ثم إني أنبه إلى أني وإن كنت تحريت في الشرح المعاني التي أرادها الناظم، إلا أنني تعمدت أحيانًا الحيدة إلى معنى آخر يوافق نص البيت لحاجتي إلى ذكر تلك المسألة.

ومن ناحية أخرى: فقد رتّبت ما يتعلق بأحداث يوم القيامة على الترتيب الذي ترجّح عندي أنه هو الأصح، أعني ترتيب الأحداث وتعاقبها، ولم يكن الشيخ رحمه الله قد

تحرى -فيما أحسب- ترتيب الأحداث بحسب وقوعها، فرتّبتها، وأبقيت عند كل بيت رقمه كما في ترتيب القصيدة.

كما أنني غيرت في الترتيب في مواضع أخرى قليلة، ويتبين ذلك للقارئ من خلال أرقام الأبيات المكتوبة قبل كل بيت.

وأضفت عناوين للأبواب. لكن عناوين الفصول فهي من الناظم رحمه الله.

وهذه المنظومة قد شرحها الناظم نفسه بشرح ماتع مفصل لا يستغني عنه طالب العلم. فننصح به.

وختامًا أذكّر القارئ بأن العصمة لله ولكتابه ولرسوله، ولا عصمة لنا، فما وجدتم من كلامي موافق للكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ فهذا فضل من الله، وما خالف ذلك فهو خطأ مني ومن الشيطان، وأسال الله أن يجليه لي قبل موتي، وييسر لي الرجوع عنه. وأسأل الله أن يجعل ما كتبت حجّة لي لا حجّة علي، وأن يكتب لي أجره، ويجعله خالصًا لوجهه، وأن يوفقك أيها القارئ إلى الحق، والصلاح في جميع شأنك.

كتبه: محمد بن شمس الدين
في الخامس من ربيع الثاني
عام تسع وثلاثين وأربعمئة وألف
الموافق ٢٢/١٢/٢٠١٧


بسم الله

منظومة سلم الوصول إلى علم الأصول

في توحيد الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

مقدمة المنظومة

١ أَبْدَأُ باسْمِ اللهِ مُسْتَعِينـا رَاضٍ بِـهِ مُـدَبِّرًا مُعِينَـا

أي أبدأ كلامي مستعينا باسم الله، ومتَبَرِّكًا بذكري له، أبدأ كتابة هذه المنظومة[١] (رَاضٍ بِـهِ مُـدَبِّرًا مُعِينَـا) وأنا راضٍ بالله ربًا مدبّرًا متصرّفًا في خلقه يدير الأمور كلها بمشيئته، وحِكمتِه، وقدرته، وراضٍ بالله معينًا لي على ما سأقول.

والبسملة مشروعة في كل الأمور الحسنة. فنبدأ أمورنا مستعينين باسم الله تعالى. وتقدير معنى البسملة هو: أبدأ، أو أكتب، أو آكل، أو أشرب...إلخ مستعينا باسم الله، أو بالله.

[١] المنظومة: معانٍ أو علوم معيَّنةٍ نُظِمَت على شَكلٍ قَصيدة.

٢ والْحَمْدُ لله كَمَا هَدَانَـا إلى سَبِيـلِ الْحَقِّ واجْتَبَانا

والحمد لله حمدًا كثيرًا بحجم إنعامه عليها بالهداية إلى الإسلام والسنّة، وهي سبيل الحق، والطريق الموصل إلى رضا الله، ونحمده تعالى على اختيارنا لهذا الهُدى دون حول منّا ولا قوّة. قال الله المجيد عن أهل الجنّة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾

ومعنى الحمد: المبالغة بالثناء على المحمود. أي إننا إذا حمدنا الله تعالى فإننا نثني عليه بكل أنواع الثناء. ولا يليق الحمدُ بهذه الطريقة إلا لله تعالى.

٣ أحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وأشْـكُرُهْ ومِن مَسَاوِي عَمَلِي أسْتَغفِـرُهْ

أحمده على نعمه أي أثني عليه وأمدحه على ما آتاني من نِعم، وأشكره عليها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾

والشكر لله واجب، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

وكيفية الشكر، بأن نتقرّب إليه بالطاعات، ونطلب منه غفران ذنوبنا والتجاوز عنها. قال الله في صفات المتّقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

٤ وأَسْتَعِينُهُ عَلَى نيْلِ الرِّضَـا وأَسْتَمِدُّ لُطفَهُ في مَا قَضَى

وأطلب إعانته على أن يوفقني لنيل رضاه. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فنحن نوكل الله تعالى في كل أمورنا.

(وأَسْتَمِدُّ لُطفَهُ في مَا قَضَى) أي: وأسأله أن يلطف بي فيما قضاه علي.

وقد قال رسول الله ﷺ: (لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ) [٢] ومن هنا يتبيّن لنا خطأ من يقول "~~اللّٰهُمَّ لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه~~" فهذا القول خطأ، ولا ضير أن نسأل الله أن يلطف بقضائه، ولكن البأس في ذلك التركيب، لأنه يعني أن سؤال رد القضاء غير ممكن، أو أن رد القضاء صعب على الله تعالى، ولهذا لم يسأل السائل رده، بل سأل اللطف. والصواب أن الله تعالى هو الذي يقضي، وهو الذي يرد القضاء لدعاء عبده، كما أن طلب اللطف في القضاء حسن.

الشهادتان

٥ وبعدُ: إني بِالْيقِـينِ أشْهَــد شَهـادَةَ الإخلاصِ أنْ لا يُعْبَـدْ
٦ بالْحَقِّ مأْلُوهٌ سِـوَى الرَّحْمـن مَنْ جَلَّ عَن عَيْبٍ وعَنْ نُقْصَانِ

---

[٢] رواه الترمذي (٢١٣٩) وقال: حسن غريب، وقال الألباني: حسن، ورواه احمد (٢٢٤٣٨) وحسنه محقق المسند، ورواه الحاكم (١٨١٤) وصححه

وبعدَ ما قدّمتُ مِن حَمدِ الله والثناء عليه، فإني أشهد وأقر وأعترف مستيقنًا جازمًا بشهادة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ومعناها: إنه لا يُعبد أحد بحقٍّ إلا الله تعالى، كما قال تبارك اسمه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾

والله هو الذي جلَّ -أي ترفّع وعَظُمَ- عن الاتصاف بالعيب أو النقص، فلا يجوز أن تنسب النقائص إلى الله تبارك وتعالى.

٧ وأن خيْرَ خَلْقِهِ محمَّــدا مَنْ جاءنَا بالْبَيِّنَات والْهُدَى

أي وأشهد أن محمّدًا الذي هو خير خلق الله هو الذي قد جاءنا بالبينات من الله: أي الآيات التي تبيّن لنا الحق من الباطل. والهدى: وهو يشمل كل ما أرشد إليه الرسول ﷺ، فكله يؤدي إلى الحق، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ و"تهدي" أي: تدل وتُرشد.

أما عن كونه ﷺ خير الخلق، فهذه قضية تحتاج إلى نظر، فقد ثبت أنه سيد ولد آدم، كما قال ﷺ: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ) [٣] فهل نقول إنه أفضل الخلق جميعهم بما فيهم الملائكة بناءً على هذا؟

الجواب: هناك من أهل السنة من قال هذا، والأولى أن نقول إن هذه ليست من القضايا التي أمرنا الله بالكلام فيها.

---

[٣] رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤)

٨ رسـوله إلى جَمِيعِ الخَلْق بالنُّورِ والْهُدَى ودِينِ الحَقِّ

أي: محمّدٌ ﷺ هو رسول الله تعالى إلى الخلق جميعًا، والمقصود هنا: الإنس والجن، ولا يُقصَد أنه مُرسَل إلى باقي المخلوقات، كالملائكة، والجمادات، والحيوانات، كما قال تعالى شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وقال ﷺ: (أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً) [٤]

أرسله ربنا تعالى بالنور، فكل ما جاء به من أحكام، وكلام، وحِكَم، وآداب، كلها تنير القلوب، وتنير الأبصار، وتجعل المؤمن يميز الحق من الباطل، كما يميز الشخص الأشياء المرئية في النور، وهو لا يميزها في الظلمة، ولهذا كان أهل الإسلام المستمسكين بشرائع الله هم أهل النور، والصّادّون عن الحق، هم الظلاميون. ومن وصف أهل التمسّك بدين الله بـ"الظلاميين" فهو مفتر كاذب مزوِّر. ولهذا نجد الله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ وقال: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

وجاء رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق. قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ

---

[٤] رواه الترمذي (١٥٥٣) وأحمد (٢٢٢٠٩) وقال الألباني: صحيح، وصححه محققو المسند.

جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

الصلاة على النبي محمد ﷺ

٩ صَلَّى عَلَيْـهِ رَبُّنَـا وَمجَّـــدا   وَالْآلُ وَالْصَّحْبُ دَوَاماً سَرْمَدَا

قال الحَميد المجيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لما نزلت هذه الآية؛ قال الصحابة: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: (قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (٥)

ومعنى الصلاة على النبي ﷺ: الطلب من الله تعالى أن يزكيه. والصلاة جائزة ومستحبّة على جميع أنبياء الله تعالى صلى الله عليهم وسلّم. بل وتجوز للمؤمنين أيضًا، إلا أنه لم تجرِ عادة السلف أنهم يصلون على غير الأنبياء، وقد يكون مثل ذلك مستهجن عند الناس، فيُترَك، ويُدعى لغير الأنبياء بالتزكية بغير لفظ الصلاة.

---

٥ رواه البخاري (٦٣٦٠) ومسلم (٤٠٧)

التعريف بالمنظومة

١٠ وَبَعْدُ: هَذَا النَّظمُ في الأُصولِ لِمَنْ أَرَادَ مَنْهجَ الرَّسُولِ

أي: وبعد المقدمة أخبركم بأن (هذا النظم) والنظم يعني القصيدة التي نُظِمَ فيها أشياءً من العلوم (في الأصول): أي أصول الدين، وهي ما يُسمى بالعقيدة، وقد سُميت بالأصول لأنها هي التي يبنى عليها الدين، فمن فسدت عقيدته فسد دينه، وإن صام وصلى، فكيف يصِحُّ عمل من لا يعرف إلهه الذي يعمل لأجله؟! أو من يظن في ربه ظنونًا سيئة؟! أو يصفه بصفات لا تَجوز في حقه، كوصفه بأنه في كل مكان مُختَلط بخلقه، أو أنه مماثل للمخلوقات، أو أنه له ولد..؟!

فلا تصح عبادة إلا بمعرفة المعبود.

إلا أنه ليس كل مسألة من مسائل العقيدة يمكن القول بأن فسادها يفسد الدين كله، فمن المسائل ما هو **أصول كلية**، مثل معرفة الله، وتمييزه عن غيره، ومعرفة استحقاقه للعبادة، وأن العبادة لا تجوز لغيره، ومعرفة رسوله ﷺ بصفات تميزه عن غيره، واليقين بصدقه، ووجوب اتّباعه، ومعرفة دين الله تعالى، وهو الإسلام، وما يميزه عن غيره، ومعرفة كتاب الله تعالى، وتصديق ما فيه، واليقين بوجوب اتّباعه.

ثم **أصول تفصيلية**: وهي الأمور المتعلقة بتفاصيل العقيدة، فمعرفة الله تعالى يندرج تحتها أصول تفصيلية، مثل: معرفة أن "الصمد" اسم لله، فمن ظن أن هذه الكلمة صفة، أو لم يفهم معناها، فلا يفسد دينه، وإن كان دينه بذلك ينقص، ولكنه

لا يفسد، أو معرفة أن الله حِجابُهُ النُّور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، أو أن الله تعالى يضحك...الخ فهذه التفاصيل لا يُقال لمن غفل عنها أنه فاسد الاعتقاد.

وكذلك الإيمان بالأنبياء يندرج تحته أمور تفصيلية، كمعرفة أن "ذا النون" اسم لنبي، أو هل خالد بن سِنان العبسي [٦] أو دانيال[٧] أنبياء؟ وغير ذلك من مسائل يصح دين من لم يسمعها، فالمخالف فيها لا يعدّ كافرًا ابتداءً، وإنما بحسب الحال، من حيث ثبوتُها، وبلوغها له.

ثم **أصول دقيقة**: وهي نوعان

الأول: مسائل مسكوت عنها

وهذه عامة الناس بعيدون عن معرفتها، ولم يتكلم فيها أهل العلم لولا أن المبطلون قالوا فيها مقالات باطلة، كالكلام في بعض التفاصيل المتعلقة بصفات الله تعالى، كلفظة الحَدِّ، وتسلسل الحوادث، وهل علو الله يقال عند إثباته: "لله مكان" أو لا،

---

(٦) هذا الرجل الصالح عاش قبل النبي ﷺ بخمسين سنة، وكان يدعو الناس إلى طاعة الله تعالى، وادعى بعض المؤرخين أنه كان نبيًّا، وهذا لا يثبت لحديث أبي سفيان في الصحيحين لما سأله هرقل إن كان ادعى أحد النبوة قبل محمد ﷺ، فنفى أبو سفيان ذلك.

(٧) ورد عن عمر رضي الله عنه انه نبي كما عند ابن أبي شيبة (٣٣٨١٨) وهو معروف عند أهل الكتاب، ولا يعرفه أكثر المسلمين.

وبدعة الجوهر والعرض...الخ، فهذه الأمور ليس الخوض فيها لكل أحد، والبعد عنها أسلم لقلوب الناس.

النوع الثاني: مسائل فيها خلاف معتبر بين السلف

مثل مسألة هل القلم خُلِق قبل الكرسي، أم الكرسي قبل القلم، وهل النبي ﷺ رأى الله تعالى في المعراج أم لا ...إلخ، وهذه مسائل لا إشكال فيها إن شاء الله.

(لِمَنْ أَرَادَ مَنْهجَ الرَّسُـول) يقول الناظم أنه كتب منظومته هذه للذي أراد معرفةَ منهج الرسول ﷺ وهو طريقه وسبيله.

١١ سأَلَنِي إِيَّاهُ مَنْ لا بُـــدَّ لِي مِنِ امْتِثَالِ سُؤلْهِ الْمُمْتَثَـل

يقول كاتب المنظومة، وهو الشيخ حافظ حكمي: إن هذا النظم طلبه منه شخص لا يمكنه ردُّ طلبه، وهو الشيخ عبد الله القرعاوي الذي تعلم الناظم على يديه. وهذا مثال على توقير اهل العلم لشيوخهم، وبِرّهم بمن كان له فضل عليهم بتعليمهم دين الله.

١٢ فَقُلْتُ مَع عَجْزي ومَع إشفَاقِي مُعْتَمِداً على الْقَدِيــرِ الْبَاقِــي

فحين طلبه مني، كنت أعرف عجزي عن الوفاء بحقِّ هذا الطلب، لما فيه من مسؤولية عظيمة، ومجازفة جسيمة، فالتصنيف في أمور العقيدة أمر يخشى منه

العاقل، لأنه كلام في أمور الغيب، ولا بد للكاتب فيها من تقوى الله تعالى، وقول ما يعلم من الكتاب والسنة، وتقَصِّي قول ما وافقها، لأن قول غير ذلك هو افتراء على الله تعالى.

(إِشفَاقِي): أي خوفي من الغلط، لأنه قال إن هذا الباب، وهو العقيدة "المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها"

(مُعْتَمِداً على الْقَدِيرِ الْبَاقِـي): أي معتمدا على الله تعالى ومتوكلا عليه أن يوفقني لقول الصواب، ويجنبني الخطأ والزلل.



مقدمة

تُعرِّف العبد بما خُلِق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه، وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه.

سببُ خلقِ الخلق

١٣ اعْلَمْ بأَنَّ اللهَ جَل وَعَــلاَ لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدَى وَهَمَلاَ

١٤ بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيعْبُــدُوهُ وَبِالإلهِيَّـــــــةِ يُفــــــرِدُوهُ

أول ما عليك أن تعلمَه هو سبب الخلق، فهذه قضية عظيمة عند العقلاء، فلا يمكن لعاقل أن يجد نفسه في مكان ما، ولا يسأل "لماذا أنا هنا؟". والله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق عبثًا. قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وإنما خلق الخلائق لعبادته، فقد قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فالمخلوقات جميعها تسبح بحمد الله وتعبده. وحين كان المخلوق العاقل من الإنس والجن بحاجة لمن يدلّه على الحق، لم يتركهم الله تعالى هملًا، بل أرسل إليهم الرسل ليرشدوهم إلى القيام بما خلقهم الله تعالى

لأجله، كما قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم

١٥	أخْرَجَ فيمَا قد مَضَى مِن ظَهْرِ	آدم ذُرِّيَّتَـهُ كَـالـذَّرِّ
١٦	وأخَذَ العَهْـدَ عَلَيْهِـمْ أنَّـهُ	لاَ رَبَّ مَعْبُودٌ بحقٍّ غيْـرَهُ

فيما مضى حين خلق الله آدم مسح على ظهره وأخرج منه ذريته كلهم، وأشهدهم على ربوبيّته تبارك وتعالى، فشهدنا جميعًا بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ۝ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فقد خلق أرواحنا حقيقةً (٨) وأشهدنا على نفسه حقيقة، وأخذ علينا الميثاق، وعرض علينا الأمانة فقبلنا، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ والذي يترجح لي -والله أعلم- أن هذا العرض كان في ذلك الموقف، لأنه لا يوجد موقف آخر ذكره الله لنا، يمكن أن نقول إن الأمانة عرضت علينا فيه غير هذا. وعرضُ الأمانة علينا لابد من أنه عرض حقيقي وأن الله تعالى عرض

---

(٨) قَالَ إِسْحَاقُ [بن راهويه]: "أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّهَا الْأَرْوَاحُ قَبْلَ الْأَجْسَادِ" نقله ابن عبد البر في الاستذكار ج٣ص١٠٧.

علينا أن يمنحنا العقل، والقدرة على الاختيار والتصرف، وإمكانية الطاعة والمعصية، ثم يكلفنا بالتكاليف، فمن التزمها دخل الجنة وتنعّم فيها، ومن عارضها دخل النار وعُذِّبَ فيها، فقبلنا ذلك، بينما رفضته مخلوقات أخرى خوفا من الله تعالى، وتجنبا لمعصيته وعقابه، فتلك المخلوقات مصيرها الفناء، ونحن مصيرنا البقاء في نعيم، أو في جحيم -والعياذ بالله- فاخترنا البقاء والتكليف، وهذا المعنى جاء عن ابن عباس، والضحاك، ومجاهد، وغيرهم من السلف [٩]

إرسال الرسل لهداية الناس

١٧ وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَـدْ أَرْسَلاَ لَهُمْ وَبالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلاَ

١٨ لِكَيْ بِذَا الْعَهدَ يُذَكِّرُوهُـمْ وَيُنذِرُوهُـمْ وَيُبَشِّرُوهُـمْ

ثم لما خلقنا في الحياة الدنيا التي تعيشها الآن؛ لا يمكن أن نكون ذاكرين هذا الحدث العظيم، لأنه كان في حياة مختلفة، وعالم ثان، كما أن مقتضى التكليف أن لا نتذكر بأنفسنا ما حدث، لأننا لو كنا نتذكر أن الله كلمنا، أو خيَّرَنا؛ لما أشرَكَ أحد من البشر إلا الشاذ القليل، فكيف يُشرِك وذلك الموقف مطبوع في ذاكرته! بل حتى إبليس الرجيم لما عصى الله تعالى لم يُشرك بعبادته أحدًا، ولا طعن بوحدانيته، ولا نفى عنه صفاته، وإنما عصى لأجل خبث سريرته، ولكن لأنه سمع

---

[٩] راجع: تعظيم قدر الصلاة، رقم ٥٠٠ وما بعده، والمستدرك ط. التأصيل برقم ٣٦٢٦ وما بعده.

الله تعالى وعرفه، فكفر بالعصيان لا بعبادة غيره.

والله تعالى أرسل إلينا رسلا يذكرونا بهذا الموقف، ويأمرونا بالإيمان، والحمد لله تعالى على توفيقنا لطاعتهم.

إرسال الرسل حجّة على الناس

١٧ وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَدْ أَرْسَلاَ ... لَهُمْ وَبِالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلا
١٩ كَيْ لاَ يَكُونَ حُجة لِلنَّاسِ بَلْ ... لله أَعْلَى حُجَّةَ عَزَّ وَجَلْ

فإن كان الناس سيحتجون على الله تعالى بغفلتهم، فقد أرسل إليهم الرسل، فلا حجة لهم بعد ذلك، لأن الرسل صلى الله عليهم وسلم أقاموا الحجة على الناس، وبينوا لهم أحسن البيان، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ومع الرُّسُل أنزل الكُتُب، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

٢٠ فَمَنْ يُصَدِّقْهُمْ بِلاَ شِقَاقِ ... فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ
٢١ وَذَاكَ نَاجٍ مِن عَذَابِ النَّارِ ... وَذَلِكَ الْوَارِثُ عُقبَى الدَّارِ

فمن صدّق الرسل واتّبعهم، ولم يشق عصا الطاعة لما جاؤوا به؛ نجا، ومن صدَّ عنهم

أو عمّا يدعون إليه؛ هلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

تكذيب الرسل

٢٢ وَمَنْ بِهِمْ وَبالْكِتَـابِ كَذَّبَا وَلاَزَمَ الإعْرَاضَ عَنــهُ والإبَا

٢٣ فَذَاكَ نَاقِـضٌ كِلاَ العَهْدَيْنِ مُسْتَوجِبٌ لِلخِزي في الدَّارَيْنِ

فالذي أعرض عن الأنبياء وكذّبهم، أو أبا ورفض متابعتهم؛ نقض العهدين:

الأول: الميثاق الذي أخذه الله علينا

والثاني: أمره لنا باتّباع الرُّسل، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

ولهذا استحقّ المُكذّب الخزي في الدارين: الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ إلا أن عذاب الدنيا لا يُشترط له أن يكون دائمًا مستمرًا، فالله تعالى قد تقتضي حكمته أن لا يُظهر فيهم العذاب، بل ﴿يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وذلك لحكمة، قال الله عنها: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا

أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ فقد يتركهم ويمدهم في غيّهم، ويغدق عليهم العطاء الدنيوي، ثم يقطع دابرهم، ويخزهم إذا شاء. كما أنه قد يكتب على الكفار أن ينالوا الخزي على أيدي المؤمنين، كما في قوله عن أهل النفاق: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا أن ذلك يستوجب أن يحقق المؤمنون الإيمان لينصرهم الله، كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ فإذا لم يتحقق المسلمون بوصف الإيمان، وهو درجة أعلى من مجرد الدخول في الدين، فليسوا مستحقين لنصر مخصوص من الله تعالى. فالنصر إما أن يكون باتخاذ الأسباب التي جعلها الله تعالى في الدنيا من قوّة وتخطيط، أو لنصر خاص يأتي من عند الله تعالى للمؤمنين، فإن لم يستحقوا النصر هذا بإيمانهم، ولم يتقووا في الأسباب الدنيوية، فقد تكون الدولة والقوة للكافرين حتى يشاء الله غير ذلك. نسأل الله أن يمن علينا بالإيمان والنصر.

***

فصل
في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين
وبيان النوع الأول، وهو توحيد المعرفة والإثبات.

الواجب الأول على الناس

٢٤ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيــد مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيـدِ

أول واجب على النّاس من حيث الأوليّة، ومن حيث الأهمّيّة هو معرفة الله بالتوحيد، أي معرفة أنه هو الله الذي لا إله غيره، ولا يستحق العبادة أحد سواه، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ فكان أول ما يدعو إليه الأنبياء هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وقال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: (فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى)[١٠] وفي رواية: (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله)[١١] وفي رواية: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله)[١٢] وكلها روايات صحيحة يفسر بعضها بعضا.

---

[١٠] رواه البخاري (٧٣٧٢)
[١١] رواه البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩)
[١٢] رواه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩)

أما معرفة الله تعالى، أو معرفة أن هناك خالق، فهذه قضية معرفية، ومعلومة في الذهن، لا يترتب عليها إيمان، فالإيمان قول وعمل كما أطبق على ذلك قول السلف.

٢٥ إِذْ هُوَ مِن كُلِّ الأَوَامِرِ أَعْظَمُ وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَن يَفْهَمُ

فتوحيد الله أعظم من كل الأوامر لأنه الذي إن أخل الإنسان به كفر، ولا يصح شيء في الدين بدونه.

وهو نوعان: **علمي وعملي**. وهذا التقسيم الذي يستفاد من كلام السلف الصالح. فعَن ابْن عَبّاس -رَضِي الله عَنْهُمَا- فِي قَوْله تعالى ﴿وَمَا يُؤمن أَكْثَرهم بِاللّه إِلّا وهم مشركون﴾ قَالَ: "سلهم من خلقهمْ وَمن خلق السّمَوَات وَالْأَرْض؛ فَيَقُولُونَ: الله. فَذَلِك إِيمَانهم وهم يعْبدُونَ غَيره"(١٣)

وقال التابعي عطاء بن أبي رباح المتوفى عام ٨٥ هـ: "إِيمَانهم قَوْلهم: الله خلقنَا وَهُوَ يرزقنا ويميتنا فَهَذَا إِيمَان مَعَ شرك عِبَادَتهم غَيره"(١٤)

وقال التابعي المحدِّث الإمام عامر الشعبي المتوفى عام ١٠٣هـ: "يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به"(١٥)

---

١٣ الدر المنثور ج٤ ص٥٩٣.

١٤ الدر المنثور ج٤ ص٥٩٣.

(١٥) تفسير الطبري ج١٦ ص٢٨٦.

وقال التابعي المحدّث مجاهد بن جبر المتوفى عام ١٠٤هـ فِي قَوْله ﴿وَمَا يُؤمن أَكْثَرهم بِاللّه إِلّا وهم مشركون﴾: "كَانُوا يعلمُونَ إِن الله رَبهم وَهُوَ خالقهم وَهُوَ رازقهم وَكَانُوا مَعَ ذَلِك يشركُونَ" (١٦)

فكانوا مؤمنين باعتبار نوع من أنواع التوحيد، ومشركين باعتبار نوع آخر من أنواع التوحيد، فكان للتوحيد نوعان، والحمد لله على نعمة موافقة الكتاب والسلف الصالح.

النوع الأول من أنواع التوحيد

٢٦ إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وعَلاَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ العُلَى

وهذا هو التوحيد العلمي، وهو الاعتقاد والإقرار والاعتراف بالله تعالى بأسمائه وصفاته التي أخبر بها من خلال الوحي.

وكلمة ذات استخدمها جمع من أهل العلم، والأولى تركها، لعدم ورودها بالمعنى المقصود في الكتاب والسنة.

٢٧ وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الأَكْبَرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ وَالْمُصَوِّرُ

ومن صفاته أنّه **الرّب**: أي الذي يربي عباده ويرعاهم، **الجليل**: أي الذي ارتفع عن

---

(١٦) الدر المنثور ج٤ ص٥٩٣.

النقائص، **الأكبر** من كل شيء. ومن أسمائه: **الخالق**: أي الذي يُوجِد الأشياء، **والبارئ**: أي الذي يوجد الأشياء من دون مثال سابق لنا، **والمصوّر**: وهو الذي يجعل للأشياء صورًا، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

صفات الله تعالى

٢٨ بَاري الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلائِقِ مُبْدِعُهُمْ بِلاَ مِثالٍ سَابِـقِ

هو خالِقُ الناسِ الذي أنشأهم بلا مثال سابق، وهذا معنى البارئ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ وأنشأ أجسادهم، وعقولهم، وآلية عمل أجسادهم، وعواطفهم، وغرائزهم، ومشاعرهم، وما في أجسادهم من أنظمة لتحويل الطعام إلى طاقة، ولإنتاج الخلايا، وتبديل الخلايا التالفة، ونقل المعلومات من أعضاء الحس إلى الدماغ، وتفسيرها، وفهمها، والحركة، والنوم، والنمو، وخلق هذا النظام الكوني بكل تعقيده ودقّته دون مثال سابق لكل ذلك.

٢٩ الأوَّلُ الْمُبدِي بِـلاَ ابْتِدَاءِ والآخِـرُ الْبَاقِي بِلاَ انْتِهَـاءِ

الأول الذي ليس قبله شيء وهو الذي بدأ خلق الأشياء، **والآخر** الذي ليس بعده شيء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

وقال رسول الله ﷺ: (اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ) [١٧]

٣٠ الأَحَدُ الفَرْدُ الْقَـدِيرُ الأزَلِيّ الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيْمِنُ العَلِيّ

هو **الأحد**: الذي لا ثاني له.

الفرد: وهذا ليس من أسمائه ولكنه إخبارٌ عنه، يعني الذي تفرّد بأفعاله وصفاته.

القدير: أي ذو القدرة.

الأزلي: الذي لا بداية له، وكلمة "الأزلي" جاءت من عند الفِرَق الكلامية، فالأَولى تركها وقول "الأول" كما جاء في الكتاب والسنة، والمعنى المراد من الكلمة صحيح.

الصمد: وهو الذي يُلتجأ إليه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

البَر: أي المُحسن إلى العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾

المهيمن: أي المُسيطر على خلقه فلا يخرجون عن سلطانه، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

العلي: أي ذو العلو والارتفاع، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

---

[١٧] رواه مسلم (٢٧١٣)

علوُّ اللّه تعالى

٣٠ الأَحَدُ الفَرْدُ الْقَـدِيرُ الأزَلِيّ الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيْمِـنُ العَـلِيّ
٣١ عُلُــوَّ قَهـرٍ وَعُلُوَّ الشَّـــانِ جَلَّ عَنِ الأضْدَادِ وَالأعْوَانِ

من صفات الله العلو، وعلوّ الله منه علو القهر والغلبة على خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ومن أنواع العلو: علو الشّأن والقدر، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ولا ضد له ينازعه في مُلكه، ولا عون له لتعاليه عن الحاجة للمعين.

٣٢ كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ والفَوْقِـيَّـةْ عَلَى عِبَادِهِ بِلاَ كَيْفِـيَّـهْ

ومن أنواع العلو: علوه وارتفاعه، وأنه فوق مخلوقاته، على عرشه، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وقال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾

٣٣ وَمَعَ ذَا مُطَّلِعٌ إِلَيْهِــمُ بعلْمِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِــمُ

ومع علوه عن خلقه فهو مطلع عليهم مسيطر عليهم، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ فأثبت أنه في السماء، ثم قال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ فمع كونه في السماء، فلا يخفى عليه شيء في الأرض، ومعنى "في السماء" أي في العلو. قال الإمام الشّافِعِي: ثم معنى قوله في الكتاب: ﴿مَن فِي

السمَآءِ﴾ مَنْ فوق السماء على العرش، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ الآية، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلا السماوات، فهو على العرش - سبحانه وتعالى - كما أخبر بلا كيف، بائن من خلقه، غير مماس من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ انتهى كلام الشافعي [١٨]

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وكذلك قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾

وقد أنكرت فرقة تسمى "الجهمية" هذا العلو، وقلدها في ذلك طوائف من الفرق المبتدعة.

قال العلامة الكرجي القصاب المتوفى ٣٦٠هـ: قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ دليل على أن الله جل جلاله بذاته في السماء على العرش، وليس في الأرض إلا علمه المحيط بكل شيء. **وهذا والله من المصائب العظيمة أن يضطرنا جهل المعتزلة والجهمية، وسخافة عقولهم إلى تثبيت هذا عليهم**، وهو شيء لا يخفى على نوبية [١٩] سوداء. روى الشريد بن سويد قال: قلت: يا رسول الله،

---

[١٨] تفسير الشافعي ﴿أأمنتم من في السماء﴾

[١٩] نوبية: نسبة إلى قبائل كانت تسكن ضفاف النيل، وهذه الجارية منهم.

إن أمي أوصت أن نعتق عنها رقبة، وعندنا جارية نوبية. فقال لها ﷺ: " أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله. قال: "اعتقها فإنها مؤمنة"[٢٠] انتهى كلام القصاب.[٢١]

معيّة الله تعالى لا تنافي علوّه

٣٤	وَذِكْرُهُ لِلقُرْبِ وَالْمَعِيَّــةْ	لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيــةْ
٣٥	فَإِنَّهُ الْعليُّ في دُنُـــــوِّهِ	وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ في عُلُـوِّهِ

ومما أخبرنا الله عن نفسه تعالى القرب الذي لا يُنافي علوَّه.

ذكر الله تعالى قربه منا فقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وذلك معيّته لخلقه فقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وهذا لا ينافي العلو، فهو على عرشه تبارك وتعالى، وهو معنا يعلم ما نفعل.

وليس المعنى انه مجاور لنا -حاشاه-، فالمجاورة ليست هي معنى المعية، فلو قال قائل: "أمي أقرب إليّ من أبي" لن يفهم السامع أن المسافة بينه وبين أمه أقل من

---

[٢٠] رواه ابن خزيمة (٢١٩). وجاء في صحيح مسلم (٥٣٧) وموطأ مالك (٢٨٧٥) حديث آخر عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ انه ضرب جارية له، قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»

[٢١] النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ج٢ص٧٠

المسافة بينه وبين أبيه، ولو قال قائل: أنا مع المظلومين في أي مكان في العالم" فلم يفهم أحد انه في مكان ملتصق بهم.

قال سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ العجيفي (ت ٢٠٨هـ): " الْجَهْمِيَّةُ أَشَرُّ قَوْلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَدِ اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، وَقَالُوا هُمْ: لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ شَيْءٌ" [٢٢]

قال أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤) بعد أن تاب من مذاهب أهل الكلام [٢٣]: "وأجمعوا [يعني السَّلف كما قال في مقدمة كتابه] ... أنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وقد دل على ذلك بقوله: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر [٢٤]؛ لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء" [٢٥]

وقَالَ الْحَافِظ أَبُو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠) فِي كِتَابه محجة الواثقين "وَأَجْمعُوا أَن الله فَوق سماواته عَال على عَرْشه مستو عَلَيْهِ، لَا مستول عَلَيْهِ كَمَا تَقول الْجَهْمِية [٢٦]"

---

[٢٢] خلق أفعال العباد للبخاري: ص٣٠ صححه البخاري والذهبي

[٢٣] أهل الكلام هم الجهمية والمعتزلة ومن تسموا لاحقا بالأشاعرة والماتريدية، وكذلك متأخري الرافضة.

[٢٤] يقصد المعتزلة.

[٢٥] رسالة إلى أهل الثغر ص١٣١

[٢٦] يقصد أن معنى استوى ليس استولى.

(٢٧)

فمن قال إن الله في كل مكان؛ كفر بالإجماع.

قال أحمد بن عبد السلام (المتوفى ٧٢٨هـ): "من قَالَ إِن الله تَعَالَى بِذَاتِهِ فِي كل مَكَان فَهُوَ مُخَالف للْكتاب وَالسّنة وَإِجْمَاع الْمُسلمين بل هُوَ مُخَالف للملل الثَّلَاث [٢٨] بل الْخَالِق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَائِن من الْمَخْلُوقَات لَيْسَ فِي مخلوقاته شَيْء من ذَاته وَلَا فِي ذَاته شَيْء من مخلوقاته بل هُوَ الْغَنِيّ عَنْهَا والبائن بِنَفسِهِ مِنْهَا وَقد اتّفق الْأَئِمَّة من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة وَسَائِر أَئِمَّة الدّين أَن قَوْله تَعَالَى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير﴾ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنه مختلط بالمخلوقات وَحَال فِيهَا وَلَا أَنه بِذَاتِهِ فِي كل مَكَان بل هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ كل شَيْء بِعِلْمِهِ وَقدرته وَنَحْو ذَلِك" [٢٩]

كما أنه تبارك وتعالى ينزل كما قال رسوله ﷺ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) فالله عليّ ومستو على عرشه مع نزوله هذا، ولا يجوز اعتقاد مشابهة صفاته وأفعاله لصفات المخلوقين.

---

(٢٧) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ص٩٠

(٢٨) الحنيفية التي هي ملتنا وملة إبراهيم ﷺ، واليهودية، والنصرانية.

(٢٩) نقض التأسيس ج٥ ص٣٠٧

الحي القيوم

٣٦ حَيٌّ وَقَيُّـومٌ فَلاَ يَنَـامُ   وَجَلَّ أَنْ يُشْبِهُهُ الأَنَـامُ

مما أخبرنا الله عن نفسه تعالى أنه الحي الذي لا يموت ولا ينام، والقيوم الذي يقوم بأمور خلقه، ولا ينام فلا حاجة له إلى النوم، ولا تليق به الغفلة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

ومما أخبرنا الله عن نفسه: أنه أجل وأعظم من أن يشبهه خلقُه، قال جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

لا يمكن إدراك كيفية صفات الله

٣٧ لاَ تَبْلُغُ الأَوْهَامُ كُنْهَ ذَاتِـهِ   وَلاَ يُكَيِّفُ الْحِجَا صِفَاتِـهِ

لأنّ اللهَ لا مثيل له فلا يمكن للحِجا -وهو العقل- أن يُدرك كيفيته، ولا أن يدرك كيفية صفاتِه، فعلمُهُ ليس كعلمِنا، وبَصَرُه ليس كبصرنا، ونزولُه ليس كنزولِنا، ويدُه ليست كأيدينا، فالله جلَّ وتقدَّسَ عن مشابهة الخلق، فكل مثال أو صورة تتوهمها العقول لله تعالى فالله مختلف عنها، قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وإنما العقول إذا توهّمت تتوهم بحسب ما رأته وأدركته سابقًا، والله لا مثيل له، فلا يمكن للعقول إدراك حقيقة صفاته.

بقاء الله تعالى

٣٨ باقٍ فَلاَ يَفْـنَي وَلاَ يَبِيـدُ وَلاَ يَكُونُ غَيْرَ مَا يُرِيـدُ

ومما أخبرنا الله عن نفسه: أنه تعالى باق فلا فناء له، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾

ولا يكون في خلقه شيء إلا الذي شاءه ربنا أن يكون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

والإرادة لها معنيان:

إرادة الله، بمعنى أن الله تعالى امر بهذا الشيء. وهذه يسمونها: "الإرادة الشرعية"

وإرادة، بمعنى المشيئة، وهي ان الله قدَّر وقوع ذلك الشيء، وهذه يسمونها: "الإرادة الكونية"

فإرادة الله للصلاة: هذه إرادة شرعية لأنه أمر بها. وكون العبد صلى: فهذه تدخل في المشيئة أو الإرادة الكونية، لأن الله تعالى قدَّر حدوث هذا الشيء وهو الصلاة.

والزنى: باعتبار الإرادة الشرعية: لا يريده الله، لأنه نهى عنه، فإذا زنى شخص، فباعتبار الإرادة الكونية: فإن الله أراد ذلك أو شاء ذلك، بمعنى أنه قدَّر وقوعه.

فإن قيل: كيف يشاء الله أن يحدث شيء لا يحبه وينهى عنه، قلنا: إن حدوث ذلك الشيء لا يضر الله تعالى، ولا ينقص من ملكه، ولكن حكمة الله تعالى تقتضي

وقوعه، فلو أنه لم يشأ وقوع المعصية لصار الناس كالملائكة، وما عاد لتكليفه بالأمر والنهي معنى، فشاء الله أن يقع منهم ما نهاهم عنه ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

تفرّد الله بالخلق والإرادة والحكم

٣٩ مُنفَـرِدٌ بِالْخَلْـقِ وَالإِرَادَةْ وَحَاكِمٌ -جَلَّ- بِمَا أَرَادَهْ

ومن صفات ربنا تعالى أنه منفرد -لا شريك له- بالخلق، ولا بالإرادة، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ وأنه يحكم بما يريد، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ فلا سُلطان لأحد عليه، وليس لأحد أن يسأله عمّا قضاه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

ولأنه هو الخالق المتفرد بالحكم والإرادة، فلا يجوز لعبد أن يحكم بغير حكم الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ولا يجوز لأحد أن يتحاكم إلى حاكمٍ لا يحكم بما أنزل الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ إلا إذا لم يجد هذا الشخص من يحكم بشرع الله، وكان لا يمكنه حل الأمر بطرق شرعية، فله أن يلجأ مضطرًا إلى حاكم لا يحكم بشرع الله لتحصيل حقه، كما لو أبلغ عن سارق سرق ماله، أو عن مجرم لتقبض عليه الشرطة فلا يؤذي الناس.

توفيق الله لعباده

٤٠ فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِـــهِ وَمن يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِــهِ

قال ربنا المجيد: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فالله تعالى يعين بعض خلقه ويوفقهم للصلاح بفضل منه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وأما من لا يستحق ذلك الفضل فعامله الله بعدله، قال تعالى: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

عباد الله: شقي وسعيد

٤١ فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ والسَّعِيــدُ وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَريــدُ

فمن عباده الشقي الذي شَقِيَ بكفره وبعذاب الله، ومنهم السعيد الذي سعد بالإيمان وبثواب الله. فالمؤمن مقرب، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ والكافر طريد مُبعد من رحمة الله، قال ربنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾

حكمة الله تعالى

٤٢ لِحِكْمَـةٍ بَالِغَـةٍ قَضَاهَـا يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا

ومن صفات الله: أنه حكيم، وكلّ ما قضاه كان بحكمة منه سبحانه وتعالى، فحين شاء وقوع أمور في الكون لا يحبها وأمر بتركها كالظلم والكفر؛ فإنه مع ذلك أوجدها بمشيئته لحكمة هو أعلم بها، فالله حكيم منزّه عن فعل الخطأ والعبث، ويستحقُّ تبارك وتعالى الحمد على ما قضاه في كونه، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

الله سميع بصير

٤٣ وهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَرّ فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ

ومن صفات الله أنه بصير، فهو الله يرى الذرَّة -وهي النملة- حين تدبُّ، أي تمشي على الصخرة الصماء في الليلة المظلمة، وهذا الكلام يقصد به الناظم أن الله يرى كل شيء، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾

٤٤ وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالإخفَـاتِ بِسَمْعِهِ الْوَاسِعِ لِلأَصْـوَاتِ

ومن صفات الله تبارك اسمه: أنّه سميع، فيستوي عنده الكلام بالصوت المرتفع، والكلام بالصوت المنخفض، وحتى ما لا يسمعه أحد من كلام الشخص في نفسه فالله يسمعه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ولما جاءت

امرأة تخاطب النبي ﷺ في مشكلة بينها وبين زوجها؛ قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [٣٠]

علم الله تعالى

٤٥ وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِـي أَحَاطَ عِلْما بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِـي

ومن صفات إلهنا المجيد: أنه عليم، وعلم الله وسع الأمور الظاهرة والأمور الخفية، وكل ذلك كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

غنى الله تعالى

٤٦ وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَـهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالى شَأْنُـهُ

---

[٣٠] رواه النسائي (٣٤٦٠) وابن ماجه (٢٠٦٣) صححه الحاكم والذهبي.

ومن صفات الله تبارك اسمه أنه غني، فالله تعالى غنيٌّ، مستغنٍ عن غيره، قال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فكل شيء مِلك له، وهو غني عن كلِّ شيء، غير محتاج لشيء.

ولأنه الغني، فهو مستغن عن الخلق، فمن أحسن في عبادة الله، فذلك منفعة للعبد وليس لله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ والمقصود بالشكر: شكر الله على نعمه، وذلك بتوحيده وطاعته، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

الله غني ونحن فقراء

٤٧ وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْـــهِ وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْـــــهِ

ومن صفات الله العظيم: أنّه الرّزّاق، فالله تعالى هو الذي يرزق مخلوقاته جميعا، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وكل الخلق مفتقرٌ ومحتاجٌ لله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ فهو مستغن عن عباده، ونحن الفقراء: أي المحتاجون

إليه وإلى عطائه، وهو الذي يغني عباده عن غيرهم من المخلوقين إذا شاء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾

من صفات الله الكلام

٤٨ كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمَا وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمَا

ومن صفات الله تبارك اسمه أنّه يتكلّم، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وقال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وقال ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾

٤٩ كَلَامُهُ جَلَّ عَنِ الإِحْصَاءِ وَالحَصْرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ
٥٠ لَوْ صَارَ أَقلَاماً جَمِيعُ الشَّجَرِ وَالبَحْرُ تُلقَى فِيهِ سَبْعُ أَبْحُرِ
٥١ وَالخَلْقُ تَكتُبُهُ بِكُلِّ آنِ فَنَتْ وَلَيْسَ القَوْلُ مِنهُ فَانِ

وكلام ربنا تبارك وتعالى لا يُحصى ولا يُحصر ولا ينفد، فلو صارت الأشجار كلها أقلامًا، وصارت البحار كلها حبر ومعها سبعة أمثالها، لنفد ذلك وفني وانتهى الحبر ولا تنفد كلمات الله تعالى التي فيها علم وحِكمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقوله ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ أي يكون حبرا يمد الأقلام، وقال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ

مَدَدًا﴾ قال الإمام عثمان بن سعيد (المتوفى ٢٨٠هـ): لَوْ جُمِعَ مِيَاهُ بُحُورِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعُيُونِهَا، وَقُطِّعَتْ أَشْجَارُهَا أَقْلَامًا لَنَفِدَتِ الْمِيَاهُ وَانْكَسَرَتِ الْأَقْلَامُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ اللَّهِ، لِأَنَّ الْمِيَاهَ وَالْأَشْجَارَ مَخْلُوقَةٌ، وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْفِنَاءَ عِنْدَ انْتِهَاءِ مُدَّتِهَا، وَاللَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَلَا يَفْنَى كَلَامُهُ، وَلَا يَزَالُ مُتَكَلِّمًا بَعْدَ الْخَلْقِ، كَمَا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا قَبْلَهُمْ، فَلَا يُنْفِدُ الْمَخْلُوقُ الْفَانِي كَلَامَ الْخَالِقِ الْبَاقِي، الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[٣١]

القرآن كلام الله

٥٢ وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِــهِ المُفَصَّــلْ ... بِأَنَّهُ كَلامُـــهُ الْـمُنَـــزَّلْ

٥٣ عَلَى الرَسُولِ المُصْطَفَى خَيْرِ الوَرَى ... لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ولا بِمُفْتَرَى

والقول الحق بالنسبة لكتاب الله القرآن العظيم أنّه كلام الله تعالى أنزله على رسوله الكريم الذي اصطفاه -أي انتقاه- من بين الورى، أي من بين النّاس، وهو -أي القرآن- ليس بمخلوق، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ فسمّاه كلام الله، فهو كعلمه ومشيئته وقدرته لا يجوز وصفه بأنه مخلوق.

قال الإمام عبد الله بن أحمد: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ

---

[٣١] الرد على الجهمية ص١٥٦

الزِّمِّيُّ، قَالَ: حَضَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِدْرِيسَ (المتوفى ١٩٢هـ وهو من أتباع التابعين) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ قِبَلَنَا نَاسًا يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ،

فَقَالَ: «مِنَ الْيَهُودِ؟» قَالَ: لَا،

قَالَ: «فَمِنَ النَّصَارَى؟» قَالَ: لَا،

قَالَ: «فَمِنَ الْمَجُوسِ؟» قَالَ: لَا،

قَالَ: «فَمِمَّنْ؟» قَالَ: مِنَ الْمُوَحِّدِينَ،

قَالَ: «كَذَبُوا لَيْسَ هَؤُلَاءِ بِمُوَحِّدِينَ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةٌ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَخْلُوقٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ، هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةٌ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةٌ» [٣٢] ومثل قوله قال علماء السلف قاطبة.

قال سُفْيَان الثوري (المتوفى ١٦١هـ): يَا دويبة ألم تسمع الله يَقُول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فَأخْبر أَن الْخلق غير الْأَمر.

قال الإمام ابن خزيمة (المتوفى ٣١١هـ): قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فَفَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ الَّذِي بِهِ يَخْلُقُ الْخَلْقَ بِوَاوِ الِاسْتِئْنَافِ وَعَلَّمَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّهُ يَخْلُقُ الْخَلْقَ بِكَلَامِهِ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ: فَأَعْلَمَنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ يُكَوِّنُ كُلَّ مُكَوَّنٍ مِنْ خَلْقِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿كُنْ﴾: هُوَ كَلَامُهُ الَّذِي بِهِ يَكُونُ الْخَلْقُ وَكَلَامُهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِهِ يَكُونُ الْخَلْقُ

---

[٣٢] كتاب السنة ٢٩

غَيْرُ الْخَلْقِ الَّذِي يَكُونُ مُكَوَّنًا بِكَلَامِهِ، فَافْهَمْ، وَلَا تَغْلَطْ، وَلَا تُغَالِطْ [٣٣]

ومن أراد أن يستزيد من هذا الموضوع فعليه بكتاب اسمه: "الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن" للإمام عبد العزيز بن يحي الكتاني المتوفى ٢٤٠هـ، فإن هذه مسألة كبيرة.

وليس القرآن بمفترى -أي مخترَع ومنسوب لله كذبًا- حاشا لله، بل هو كلامه، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾

القرآن غير مخلوق، والحبر والورق مخلوق

٥٤ يُحْفَظُ بِالقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ ... يُتْلَى كَمَا يُسْمَعُ بالآذَانِ

والقرآن الكريم يُحفظ في القلوب كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وباللسان يُتلى، كذلك يُسمع بالآذان.

٥٥ كَذَا بِالأَبْصارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ ... وَبِالأَيَادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ

أيضًا فإن القرآن المكتوب يُرى بالأبصار، ويُكتب بالأيدي على الورق، والمقصود أن هذا لا يغير من كون القرآن كلام الله.

---

[٣٣] التوحيد ج١ص٣٩١

٥٦ وَكُلُّ ذِي مَخلُوقَة حَقِيقَـةً ... دُونَ كَلامِ بَارِئِ الْخَلِيقَـةْ

٥٧ جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمنِ ... عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحِدْثَانِ

وكل ما ذكرنا كالقلب الذي يحفظ القرآن، واللسان الذي يتلوه، والسمع الذي يسمعه، والحبر والورق التي كتب بها القرآن، والأبصار والعيون التي تقرأه، كل ذلك مخلوق، أما الكلام فهو كلام الله تعالى غير مخلوق. قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا لَقِيتُ أَحَدًا مِنْهُمْ -يَعْنِي مِنْ أَسَاتِذَتِهِ- إِلَّا قَالَ: مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ [٣٤]

٥٨ فَالصوْتُ والأَلْحَانُ صَوتُ الْقَارِي ... لكنَّمَـا الْمَتلُـوُّ قَوْلُ الْبَـارِي

فإذا قرأ قارئٌ القرآنَ فإن الصوت صوت القارئ، والكلام الذي قيل هو كلام الباري عز وجل، ولا نقول إنه كلام فلان القارئ.

كتاب الله محفوظ

٥٩ مَا قَالَهُ لاَ يَقبَلُ التَّبْدِيـلا ... كَلاَّ وَلاَ أصْدَقُ مِنهُ قِيـلا

وهذا القرآن لا يقبل التبديل، ولا التحريف، ولا الزيادة، ولا النقص، فهو محفوظ كما أنزله الله تعالى بحفظ الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقد جعل الله مع القَدَر الغيبي أسبابًا دُنيَوية لحفظه، ليطمئن الناس

[٣٤] الأسماء والصفات للبيهقي (٥٥٥)

لذلك، فهانحن نرى أن سنّة المسلمين أنهم يحفظون القرآن في صدورهم حرفًا حرفًا، وأن المسلم يقرأ القرآن على شيخه ليصحح له إن أخطأ، فيصحح له حتى طريقة نطق الحروف، ومدّة نطق الحرف، فإن كان الشيخ يصحح هذا لطلابه، فلا يمكن تصور وجود خطأ بتغيير حركة حرف ضمة أو فتحة، فضلا أن يتبدل حرف واحد، فضلا عن كلمة.

والمسلم من طلبة العلم يقرأ عند الشيخ والشيخين والعشرة حتى يتقنه، والذي ليس من طلبة العلم يسمع هذا القرآن في المساجد في الصلوات يوميًا، فلا يمكن أن يمر عليه حرف خطأ إلا ويكتشفه، ويستنكره. وكم من نسخة مصحف حرقت واتلفت لوجود خطأ طباعي في نقطة أو أقل من نقطة، فلا يُقبل بين المسلمين اقل خطأ في كتاب الله، وهذا نراه بأعيننا اليوم. فأيُّ آية هذه! فالحمد لله على كرمه.

نزول الله في ثلث الليل الأخير

٦٠ وَقَـدْ رَوَى الثِّقَاتُ عَن خَيْرِ المَلاَ — بِأَنَّـهُ عـزَّ وَجَـلَّ وَعَـــلا
٦١ فِي ثُلُـثِ اللَّيْـلِ الأخِــيرِ يَنْــزِلُ — يَقُولُ هَلْ مِن تَائِب فَيُقبِلُ
٦٢ هَلْ مَنْ مُسِيءٍ طالِـبٍ لِلْمَغْـفِـرَةْ — يَجِدْ كَرِيماً قَابِلاً لِلْمَعْذِرَةْ

ومن صفات الله تبارك وتعالى: أنّه ينزل في ثُلث الليل الأخير من الليل بكيفيّة لا نُدركها، ولا يجوز تصوّرها، لا تنافي علوّه واستواءه على العرش. ذلك كما روى

الثقات بالإسناد الصحيح إلى خير النّاس محمد ﷺ حين قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) [٣٥]

وقد يوسوس الشيطان لأحد بأن ثلث الليل مستمرٌ في الأرض يدور من منطقة إلى منطقة، فكيف نقول إنه ينزل في ثلث الليل؟

وهذا التساؤل وسوسة، وبعد عن الحق، لأن هذا فيه تشبيه لله بخلقه، إذ أن دوران الليل واستمراره بالنسبة لنا، فنحن ملزمون به، لكن من عرف عظمة الله وجلاله عرف أن الأمر عنده غير، فالله يصوّر خلقَه كيف يشاء، ولا نقيس أفعاله على أفعال خلقه، وحالات الخلق لا تقيِّد الله تعالى.

فضل الله على خلقه

٦٣ يَمُنُّ بِالْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلْ وَيَسْتُرُ العَيْبَ ويُعْطِي السَّائِلْ

والله يمن ويتفضّل على عباده بالخيرات والفضائل، ويستر عيوبهم بفضله، ويجيب الداعي بكرمه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فقد تفضّل الله على عباده أن خلقهم خلقًا كاملًا حسنًا، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ

---

[٣٥] رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨)

خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ فخلق لنا الأعضاء والحواس التي كانت سببا في قوتنا وحسنِ إدراكنا، وجعل في اجسادنا القدرة على التأقلم مع أنماط الحياة المختلفة. ومَنَّ علينا بأن كسانا وغطانا، فقد قال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ وأسكننا بيوتا تؤوينا، فقد قال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ وهيأ الكون ليناسب معيشتنا فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ومنَّ علينا بإرسال الرسل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فلولا أن من الله علينا بإرسال الرسل، وبإنزال الكتب لما عرفنا ربنا، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ ثم من علينا بأن جعلنا على الشريعة اليسيرة، قال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ) [٣٦] وقال ربنا: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وكان لنا مُعينا فقال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ وفضائل الله علينا لا تُعَدُّ ولا تُحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

---

[٣٦] رواه البخاري (٣٩)

مجيء الله تعالى

٦٤ وَأَنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الفَصْـل كَمَا يَشَاءُ لِلْقَضاءِ الْعَـدْلِ

ومما أخبرنا الله عن نفسه: أنّه يجيء، وذلك بكيفية لا يمكن تصوّرها ليقضي بين الناس يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

رؤية الله تعالى

٦٥ وأَنَّهُ يَرَى بِلاَ إنْكَـار في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ بِالأَبصَارِ
٦٦ كُلٌّ يَرَاهُ رُؤيَةَ العِيَـانِ كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ القُرآنِ

ومما أخبرنا الله عن نفسه أنّه يُرى في الجنّة تقدّس اسمُه، كما دلت على ذلك الآية المُحكمة، حيث قال الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

٦٧ وَفِي حَديـثِ سَيِّدِ الأَنَـامِ مِنْ غَيْرِ مَا شَكٍّ وَلا إِبْهَـامِ
٦٨ رُؤْيَةَ حَقٍّ لَيْسَ يَمْتَرُونَهَـا كَالشَّمْسِ صَحْواً لاَ سَحَابَ دُونَهَا

وجاء هذا في حديثِ رسول الله ﷺ، حيث قال: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ)[٣٧]

---

[٣٧] رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣)

٦٩ وَخُصَّ بالرُّؤيَـةِ أوْلِياؤهُ فَضِيلَةَ وَحُجِبُوا أَعْـدَاؤُهُ

ورؤية الله تعالى خاصّةٌ لأوليائه المؤمنين، أمّا المُجرمون أهل النار فهم محجوبون عنها، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

الإيمان بصفات الله كما جاءت

٧٠ وَكُلُّ مَا لَهُ مِنَ الصِّفَـاتِ أثْبَتَهَا في مُحْكَمِ الآيَـاتِ

٧١ أوْ صَحَّ فيمَا قَالَهُ الرَّسُـولُ فَحقُّهُ التَّسليمُ وَالقَبُـولُ

وكل صفات الله تعالى التي أتت في مُحكم القرآن أو في الحديث الصحيح؛ نقبل بها ونسلّم لها. قال ابن خزيمة (المتوفى ٣١١هـ): " فَنَحْنُ وَجَمِيعُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَتِهَامَةَ وَالْيَمَنِ، وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، مَذْهَبُنَا: أَنَّا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، نُقِرُّ بِذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا، وَنُصَدِّقُ ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُشَبِّهَ وَجْهَ خَالِقِنَا بِوَجْهِ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، عَزَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يُشْبِهَ الْمَخْلُوقِينَ، وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ مَقَالَةِ الْمُعَطِّلِينَ، وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ عَدَمًا كَمَا قَالَهُ الْمُبْطِلُونَ، لِأَنَّ مَا لَا صِفَةَ لَهُ عَدَمٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَهْمِيُّونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ صِفَاتِ خَالِقِنَا الَّذِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ" [٣٨]

---

[٣٨] كتاب التوحيد ج١ص٢٦

٧٢ نمِرُّهَـا صَرِيحَـةً كَمَا أَتَــتْ مَعَ اعْتِقَـادِنَا لمَا لَهُ اقْتَضَـتْ
٧٣ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيف وَلاَ تَعْطِيلِ وغَـيْرِ تَكْيِيـف وَلاَ تَمْثِيـلِ

ونؤمن بصفاته صراحة كما جاءنا الخبرُ عنها، ونعتقد معناها الذي تفهمه العرب، من غير تحريف لها ولا لمعناها، ومن غير تعطيل، والتعطيل: هو قول بأنّها لا معنى لها، ومن غير تكييف، والتكييف هو محاولة تصوّر كيفيتها، ومن غير تمثيل، والتمثيل هو ادعاء أو اعتقاد مماثَلَتِها للمخلوقات، أو صفاتهم.

قال ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ): «أهل السنة مجمعون عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِهَا وَحَمْلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَحُدُّونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً، وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ كُلُّهَا وَالْخَوَارِجُ فَكُلُّهُمْ يُنْكِرُهَا وَلَا يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُشَبِّهٌ، وَهُمْ عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ. وَالْحَقُّ فِيمَا قَالَهُ الْقَائِلُونَ بِمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ وَهُمْ أَئِمَّةُ الْجَمَاعَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» (٣٩)

لا نقول في صفات الله برأينا

٧٤ بَلْ قَوْلُنَا قَوْل أئمةِ الهـدَى طُوبَى لِمَنْ بهَدْيِهِمْ قَد اهْتـدَى

إن قولنا في صفات الله هو قول أئمّة الهُدى مِن الصحابة والتابعين، طوبى وبُشرى

(٣٩) التمهيد ج٧ ص١٤٥

لمن أقتدى بهديهم، وفهم الكتاب والسنة بفهمهم، وترك الكلام المُبتدع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

اسم النوع الأول للتوحيد: توحيد الإثبات

٧٥ وَسَمِّ ذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوحِيد ... تَوْحِيدَ إثْبَاتٍ بِلا تَرْدِيــدِ

وما ذكرنا مما يتعلّق بالإيمان بالله تعالى ووحدانيّته وصفاته هو النوع الأوّل من التوحيد، وهو توحيد الإثبات، أو توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي، لأنه يتعلق بالعلم بالله وصفاته وإثباتها، ومعنى إثباتها: الإيمان بثبوتها وصحتها ومعانيها، ويسميه العلماءُ أيضًا بتوحيد الربوبيّة.

٧٦ قَدْ أفْصَحَ الوَحيُ المُبين عَنْهُ ... فَالْتَمِسِ الْهُدَى الْمُنِيَرَ منهُ

٧٧ لاَ تَتَّبِــعْ أقوَالَ كُلِّ مَـــارِدِ ... غَاوٍ مُضِـلٍّ مَارِق مُعـانِــدِ

وهذا الإيمان قد بيّنه الله تعالى بالوحي (القرآن والسنّة) فإن أردت أن تهتدي فخذ الهدى من كتاب الله وكلام نبيّه، واحذر من اتّباع أقوال من مردوا عليها: أي تطاولوا عليها بآرائهم وأهوائهم، فمرقوا عنها وابتعدوا، وعاندوها، وأضلّوا الناس بذلك.

٧٨ فَلَيْسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التِّبْيَـانِ ... مِثْقَالُ ذَرَّة مِنَ الإيمَــانِ

فإن ردّ شخص بيان الله ورسولِه لم يبق بعدُ عنده ذرّةٌ مِن الإيمان.

فصلٌ
في بيان النوع الثاني من التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه هو معنى لا إله إلا الله

فالنوع الأول الذي درسناه هو توحيدٌ معرفيٌّ، علميٌّ، أما النوع الثاني فهو توحيدٌ عمليٌّ، فهو يُسمّى بالتوحيد العملي، ويسمونه بتوحيد الطلب والقصد، والطلب: أي الدّعاء، والقصد أي: أن يكون المقصود والمراد بالعبادة هو الله وحده، ويسمّى بتوحيد العبادة، أو توحيد الألوهيّة.

التوحيد العملي

٧٩ هذا وَثَانِي نَوعَي التوْحِيـدِ ... إفْرادُ رَبِّ الْعرْشِ عنْ نَديـدِ
٨٠ أنْ تَعْبُدَ الله إلهاً وَاحِـدَا ... مُعْـتَرِفـاً بِحَقِّـهِ لاَ جَاحِـدَا

النوع الثاني من أنواع التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا يُعبَد معه أحد، لأن من عبد معه غيره فقد ساواه به، والله تعالى قال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقال: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

والعبادة تكون مع الاعتراف بأن الله مستحقٌ لكل أنواع العبادات، سواءً فعلتها أم قصَّرت أو لم تتمكن من فعلها، وهذا كله معنى لا إله إلا الله.

التوحيد العملي هو أُساس دعوة الرّسل

٨١ وَهوَ الَّذي به الإله أرْسَلا رُسْلَهُ يَدْعُونَ إلَيْهِ أولا

وتوحيد العمل هو الذي أرسل الله رسله للدعوة إليه، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وقال: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إذ أن غالب الناس لا ينكرون الله، ولكنهم يتخذون من دونه أشخاص أو أشياء يصرفون إليها أنواعا من العبادات، فأرسل الله الرسل لدعوتهم إلى توحيد في العبادة.

التوحيد العملي، أُنزل الله الكتب لإثباته

٨٢ وأنْزَلَ الْكِتَابَ والتِّبْـيَانَا لَهُ مِن أجْلِهِ وَفَرَقَ الْفُرْقَانَـا

والله تعالى أنزل كتابه ليأمر الناس بالتوحيد العملي (أو ما يسميه البعض بتوحيد الألوهية) فقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾

(وَفَرَقَ الْفُرْقَانَ) أي بكتابه الذي من أسمائه "الفرقان" فرَّق بين الكفر والإيمان، وبين الحق والباطل، فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ومِن هذه التفرقة أنه أثبت الفرق بين المؤمن والمشرك، فكل من صرف عبادة لغير الله، كالدعاء والنذر، والصلاة، والاستغاثة، والطواف، فهذا مشرك.

تكليف الرسول ﷺ بمجاهرة من ناقض التوحيد

٨٣ وكَلَّفَ اللهُ الرَّسُولَ الْمُجْتَبَى ... قِتَالَ مَن عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى

٨٤ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصا ... سِرّاً وَجَهْراً دِقَّهُ وَجِلَّهُ

ولو قال "جهاد"، بدلا مِن "قتال" لكان أفضل، فالله تعالى أمر بجهاد المشركين، والجهاد يكون بالحُجّة والقرآن، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ كما يكون بالسيف، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ فالجهاد أعمّ من القتال.

تكليف الأمة بالجهاد

٨٥ وَهَكَذَا أُمَّتُهُ قَدْ كُلِّفُوا بذَا وَفي نص الْكِتَابِ وُصِفُوا

وقد كلّف الله تعالى المؤمنين بما كلف به المرسلين، فقال الرسول ﷺ: (وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ) [٤٠] ووصف الله المسلمين في كتابه بقوله: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

توحيد العبادة هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله

٨٦ وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَةْ فَهِيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةْ

أي أن توحيد العمل التَّعَبُّدي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وهذه الكلمة هي طريق الفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

---

[٤٠] رواه مسلم (١٠١٥)

٨٧ مَن قَالَهَـا مُعْتَقِـداً مَعْنَـاهـا وَكَانَ عَامِلاً بِمُقْتَضَـاهَـا
٨٨ في القَوْلِ والفِعْلِ ومَاتَ مُؤمِناً يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشرِ نَاجٍ آمِنَا

وقد دلت النصوص أن من قال هذه الكلمة عالمًا معناها مقرًا به عاملًا بما تقتضيه هذه الكلمة من التزام بعبادة الله وحده، فإنّه يُبعث يوم القيامة آمنًا من النّار.

٨٩ فَإن مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْـهِ دَلـتْ يَقِينـا وَهَـدَتْ إِلَيْـهِ
٩٠ أن لَيْسَ بِالْحَقِّ إِلهٌ يُعْبَـدُ إلاَّ الإلهُ الوَاحِـدُ المُنْفَـرِدُ
٩١ بِالْخَلقِ وَالرِّزْقِ وَبالتَّدْبِيـرِ جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيـرِ

فمعنى الإله: المعبود، ومعنى لا إلٰه إلا الله: أي لا معبود بحقٍ إلا الله تعالى، الذي هو الرب ذو الصفات التي قلنا إنه منفرد بها كالخلق والرزق والتدبير، لا إلٰه غيره، ولا شريك له ولا مثيل.

شروط لا إله إلا الله

٩٢ وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّـدَتْ وَفي نُصُوصِ الوَحْيِ حَقاً وَرَدَتْ
٩٣ فَـإنَّـهُ لَمْ يَنتَفِعْ قَائِلُهَـا بِالنُّطْـقِ إلاَّ حَيْـثُ يَسْتَكْمِلُهَا

وهذه الشهادة لها شروط حتى تصح، ولا ينتفع قائلها إلا بالتزام هذه الشروط، وهي سبعة:

٩٤ الْعِلمُ وَالْيَقِينُ وَالقَبُـــولُ وَالانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أقُـــولُ

الأول: **العلم**: وهو العلم بمعناها، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ولا يعقل ان يقال: إن من قالها ولا يعلم المعنى فقد صحَّت منه.

والثاني **اليقين** المنافي الشّك، وهو اليقين بتوحيد الله تعالى، وبأن محمّدًا رسول الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي لم يشكوا، فمن شك بشهادته لا يصح أنه شَهِد.

والثالث: **القبول**، وهو ضد الرّفض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فمن قالها وهو رافض لما تعنيه فلا يصح أنه شهد بها.

والرابع: **الانقياد**: وهو الانصياع لأوامر الله، والسير وفقًا لها، وهو ضد الترك، وضد الإعراض، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ وقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾

٩٥ وَالصِّدْقُ وَالإِخْلَاص وَالْمَحَبَّة وَفَّقَكَ الله لِمَا أَحَبَّـــه

الخامس: **الصدق**، وهو ضد النفاق، وذلك أنها لا تصح ممن يقولها كاذبًا وهو في حقيقته كافر بها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾

السادس: **الإخلاص**، وهو ضد الشرك، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أي النقي الذي لا شرك فيه، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾

السابع: **المحبّة**، وتكون لله ورسوله، ولما شرعه الله تعالى وأنزله على رسوله، ويدخل في ذلك محبة الإيمان وأهله، وبغض الكفر وأهله، قال تعالى في محبّته: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ وقال في المشركين: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وقال تعالى في شرعه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

* * *

فصل
في العبادة، وذكر بعض أنواعها
وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك

تعريف العبادة

٩٦ ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعُ لِكُلِّ مَا يَرضَى الإلهُ السَّامِع

وهذا تعريف العبادة، فهي اسم جامع لكل ما يُحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

أنواع العبادة

٩٧ وَفِي الْحَدِيثِ مُخُّهَا الدُّعَاءُ خَوْفٌ تَوَكُّلٌ كَذَا الرَّجَاءُ

والحديث الذي أشار إليه هو (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ) وهو ضعيف [٤١]، لكن الصحيح هو: (إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٤٢]

---

[٤١] رواه الطبراني في الدعاء (٨) وفي الأوسط (٣١٩٦) وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبَانَ إِلَّا عُبَيْدُ اللَّهِ، تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ لَهِيعَةَ. قلت: وابن لهيعة ضعيف.

[٤٢] رواه ابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه شعيب والألباني. وكذلك رواه أحمد (١٨٣٥٢) وصححه المحققون.

ومن أنواع العبادة: الخوف، وهو الخوف من الله تعالى، من غضبه، ومن عقابه، وذلك من العبودية لله تعالى، ومن الإيمان بقدرته، وبحسابه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾.

قال ابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ): "وَأَجْمَعَتِ اَلْعُلَمَاءُ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ اَللَّهَ عز وجل قَدْ اِفْتَرَضَ عَلَى اَلْخَلْقِ اَلْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ وَأَنَّهُ دَعَا عِبَادَهُ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ" [٤٣]

وعن مجاهد (المتوفى حوالي ١٠١هـ) في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ هو الرجل يهمّ بالمعصية، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها. [٤٤]

وعن قتادة بن دعامة (المتوفى ١٠٠هـ) في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ قال: إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له، ودانوا له، وتعبَّدوا بالليل والنهار.

وهذا الخوف لا يعارض أن الإنسان قد يخاف خوفًا فطريًا من شرٍ قريب، وهذا الخوف ليس شركًا، كما قال موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ إنما يكون الشرك حال كان خوف العبد من غير الله كخوفه من الله تعالى.

ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الله تعالى، وتفويض الأمور إليه مع الإيمان

---

[٤٣] الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص٣٢١

[٤٤] رواه الطبري في تفسيره.

بأنه لا ينجح عمل ولا يحدث في ملك الله شيء إلا بإذنه وأمره، مع العمل بأسبابها، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

ومن أنواعها: **الرجاء**، وهو حسن الظن بالله، والرغبة في لقائه، والطمع في ما عنده من عطاء وفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

والخوف والرجاء لا يتنافيان، بل لا بدّ للعبد من الجمع بينهما، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

العبادات القلبية

٩٨ وَرَغْبَة وَرَهْبَةٌ خشــوعُ وَخَشيَـةٌ إنَابَـة خضوع

قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ والرغبة شبيهة بالرجاء، إلا أن الرغبة إرادة حصول الخير، والسعي إليه، بينما الرجاء هو الطمع فيه.

كذلك فإن الرّهبة قريبة من الخوف، إلا أن "الرهبة طول الخوف واستمراره" [٤٥]

ومن أنواع العبادة الخشوع، وهو التذلل والخضوع المُرافق للخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾

ومن أنواعها الخشية، وهي غير الخوف، قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾، فالخشية هي الشعور الذي يصيب المرء عند وجوده بين يدي عظيم، والخوف يكون بسبب الذنوب والتقصير، والخشية تكون بسبب عظمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ لأنهم عرفوا قدره.

ومن أنواعها: الإنابة، وهي الرجوع إلى الله تعالى، والالتجاء إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾

ومن أنواعها: الخضوع، والخضوع والخشوع شبيهان، إلا أن الخشوع يكون مع الخشية، والخضوع يكون مع الخوف، قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، وقال رسول الله ﷺ: (إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ) [٤٦]

---

[٤٥] الفروق اللغوية ص٢٦١

[٤٦] رواه البخاري (٤٧٠١)

الاستعاذة والاستعانة والاستغاثة عبادات

٩٩ وَالاسْتِعَاذَةُ ولاسْتِعَانَـــةْ كَذَا اسْتِغَاثَةٌ بِهِ سُبْحَانَـهْ

ومن أنواع العبادة: الاستعاذة، وهي سؤال العبد ربَّه أن يمنع عنه شيئًا ما، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

ومن أنواعها: الاستعانة، وهي طلب العون والتيسير من الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقال رسول الله ﷺ: (وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ) [٤٧]

ومن أنواعها: الاستغاثة، وهي طلب النجاة عند وقوع المصيبة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾

---

[٤٧] رواه أحمد (٢٦٦٩) قال المحققون: إسناده قوي ورواه الترمذي (٢٥١٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الذبح والنذر من العبادة

١٠٠ وَالذَّبْــحُ وَالنَّـذْرُ وَغَــيْرُ ذَلِـك فَافْهَمْ -هُدِيْتَ- أَوْضَحَ الْمَسَالِك

ومن أنواع العبادة: **ذبح التقرّب**، وهو ذبح الذبيحة تقربا بذبحها لمن لا يأكل منها، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾

ومن أنواعها: **النذر**، قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ والنذر هو أن يتعهّد العبد بأداء عمل صالح تقرّبًا لله تعالى.

ولكن هناك نوع من النذور يسمى نذر الشرط، وهو قول القائل "نذرت أن أفعل كذا إن فعل الله لي كذا" فهذا لا يجوز لأنه شبيه بالمقايضة وفيه سوء أدب مع الله. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: (إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ) [٤٨]

كذلك فمن نذر معصية فليس له أن يفعلها، وعليه التوبة وكفارة اليمين، أو نذر ما لا يستطيع عمله، فعليه كفارة يمين.

وغير ذلك: من العبادات كثير، كالصلاة والزكاة والتسبيح وتلاوة القرآن، وغيرها، وما ذكره الناظم هو الأنواع التي يغفل عنها كثير من الناس.

[٤٨] رواه البخاري (٦٦٠٨) ومسلم (١٦٣٩)

صرف أي نوع من العبادة لغير الله شرك

١٠١ وَصَـرْفُ بَعْضِهَا لغَيْرِ الله شِرْكٌ وَذَاكَ أقْبَحُ الْمَنَاهِـي

والعبادات إن صرفها العبد لغير الله فقد أشرك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾

لكن العبادات تنقسم إلى قسمين

الأول: **أن يكون الفعل فيه جانب تعبدي وجانب طبعي**، مثل الحب، فالحب لله تعالى عبادة، والطبيعة البشرية تقتضي حب المخلوق، فالناس يحبون أهلهم، وبلادهم، وأموالهم. كذلك الخوف، فإن خوف الله تعالى عبادة، والبشر يخافون من الذئب، والسيف، والفقر. والأمثلة في ذلك عديدة، فهنا نقول إن من صَرَف هذا الفعل لغير الله بقصد التعبد فقد أشرك، ومن ساوى الله مع غيره في ذلك الفعل فقد أشرك، مثل أن يحب مخلوقا كحب الله، أو يخافه كما يخاف من الله، أما في الحالات الطبيعية فلا يشرك.

الثاني: **أن يكون الفعل عبادة محضة**، بمعنى أن الفعل بنفسه عبادة، كالدعاء، فقد سبق معنا قول الرسول ﷺ (الدعاء هو العبادة) كذلك الصلاة، والصيام، فما كان من هذا النوع من الأفعال، فمن فعله لغير الله فقد أشرك بمجرد فعله، فمن صلى صلاة النصارى وهو يريد أن يجربها، أو ان يشارك من باب التسلية؛ فقد أشرك،

لأن الصلاة عبادة، كذلك من توجَّه بالدعاء لغير الله، فقال: يا عيسى ابن مريم، أو يا عذراء، أو يا عليّ، أو يا حسين، او يا محمّد اشفني من هذا المرض، أو ارزقني، أو مُدَّني بمددك، أو يسر أمري، فكل ذلك شرك، لأن الدعاء عبادة.

والدعاء غير الطلب، فلو قال انسان لأنسان: ناولني هذا الشيء، أو أخبرني ماذا رأيت، أو أعطني درهمًا فهذا ليس دعاءً.



فصل
في بيان ضد التوحيد وهو الشرك
وأنه ينقسم إلى قسمين: أصغر وأكبر، وبيان كل منهما

الشرك الأكبر

١٠٢ وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكٌ أَكْبَرُ ... بهِ خُلودُ النَّارِ إذْ لاَ يُغْفَـرُ

الشرك له نوعان:

١- **أكبر**: مخرج من ملّة الإسلام، ويخلد صاحبه في النار فلا يخرج منها.

٢- **وأصغر**: يبقى صاحبه مسلمًا، ولكنه واقع في أشد أنواع الفسوق، وصاحبه يستحق العقوبة في النار، ولكنه تدركه الشفاعة أو الرحمة فيخرج منها بعد أن يعذّبه مدةً الله أعلم بطولها.

وكلام الناظم الآن عن الشرك الأكبر

١٠٢ وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكٌ أَكْبَرُ ... بهِ خُلودُ النَّارِ إذْ لاَ يُغْفَـرُ
١٠٣ وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللـهِ ... نِدّاً بهِ مُسَــوِّياً مُضاهِــي

الشرك الأكبر الأصل فيه: مساواة غير الله بالله، أو جعل غير الله ندًا لله، والند هو النظير.

١٠٤ يَقْصُدُهُ عِنْدَ نَزُولِ الضُّرِّ لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشرِّ
١٠٥ أَوْ عِنْدَ أيِّ غَرَضٍ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلاَّ الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
١٠٦ مَعْ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ أوِ المُعَظَّمِ أوِ المرْجُوِّ
١٠٧ في الْغَيْبِ سُلْطَاناً بِهِ يَطَّلعُ عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ

ومن صور الشرك أن يتخذ العبد مخلوقًا يدعوه ويطلب منه جلب الخير أو صرف الشر، أو غيرها من أشياء لا يقدر عليها غير الله تعالى. كمن يقول «يا محمد» أو «يا علي» أو «يا حسين» أو «يا سيدي فلان وفقني في حياتي»! مع اعتقاده أن لذلك المدعو قدرة أن يسمعه ويجيبه؛ فهذا قد دعاه من دون الله، ثم اعتقد له قدرة سمع شبيهة بسمع الله، وقدرة فعل شبيهة بقدرة الله، فجمعوا بين صرف العبادة لغير الله، والتشبيه.

ومن هنا نجد الفرق بين من يتصل بالشرطة -مثلًا- وبين من يطلب الغوث من الموتى. فالذي اتصل بالشرطة قد كلمهم دون أن يعتقد لهم سمعا كسمع الله، وطلب منهم ما يقدرون عليه، ولم يعتقد لهم قدرات غيبية، وتصرف بالكون، أما الذي يستغيث بالموتى أو يدعوهم، فهو اعتقد لهم سمعًا كسمع الله، يسمعونه بها، وقدرة على التصرّف بالكون يستجيبون له بها.

الشرك الأصغر

١٠٨ وَالثَّانِي شِرْكٌ أَصْغَرُ وَهُوَ الرِّيَا فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأَنْبِيَا

النوع الثاني من الشرك: الشرك الأصغر الذي يبقى صاحبه مسلمًا ويستحق العقاب بالنار، لكن لا يخلد فيها أبدًا. قال: (وهو الرّياء) وهو أن يعمل العبد الطاعة ليراها الناس، قال ﷺ (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً) [رواه أحمد ٢٣٦٣٠ بإسناد حسن].

الحلف بغير الله شرك أصغر

١٠٩ وَمِنهُ إقسَامٌ بِغَيْرِ البَـاري كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَخْبَارِ

ومن أنواع الشّرك الأصغر: الحلف بغير الله، كقول القائل، "والنبي" أو "والكعبة" أو "وراس أمي" أو "بشرفي" فكل ذلك حلف بغير لله، ولا يجوز للعبد أن يحلف إلا بربّه، قال رسول الله ﷺ: (أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ) (٤٩) والحلف بالله لا يكون إلا عند أمر عظيم، قال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ وذم أحد المشركين بكثرة الحلف فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾

* * *

(٤٩) رواه البخاري (٦٦٤٦)

فصل
في بيان أمور يفعلها العامة
منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه.
وبيان حكم الرُّقى والتمائم

في هذا الفصل التنبيه على أمور شاعت بين الناس وهي من الشرك أو تشبهه، أغلبها استُمِدَّ من الجاهليّة أو من الأديان الوثنيّة، نجد الناس يفعلونها غافلين عن حقيقتها.

اعتقاد أن بعض الجمادات تجلب النفع أو الضر

١١٠ وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابِ ... أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ

١١١ أَوْ خيْط أَوْ عُضْوٍ منَ النُّسُورِ ... أَوْ وَتَرٍ أو ترْبَةِ القُبُورِ

١١٢ لأيِّ أمْرٍ كائِنٍ تَعَلّقَهْ ... وَكَلَهُ الله إلى ما عَلَّقَهْ

الودعة: هي اصداف البحر. **والناب**: أي سن الذئب، بعض الناس يُعَلِّقونها دفعًا للحسد. **والحلقة**: هي كالسوار من النحاس يلبسونها لتقيهم من مرض في الذراع، **وأعين الذئاب**: فيعلّقون عين الذئب لاعتقادهم أن الجن يهرب منها. **والخيط**: هو خيط يعقدونه عقدا ويقرأون عليه تمائم، ثم يعلقونه على المريض ليشفى. **والعضو من النسور**: كالعظم أو غيره، يعلقونها على الصبيان لدفع الحسد. **والوتر**: هو وتر

قوس الرمي، كان إذا كان عتيقًا باليًا يعلقونه على الصبيان او الدواب لدفع الحسد.
وتربة القبور: هناك من يتمسّح بها للاستشفاء وغير ذلك.

ويُلحق بها **الخرز الأزرق** الذي يعلّقه الناس لدفع الحسد، وهو كثير منتشر في تركيا خاصة، والبلاد التي كانت تابعة للدولة العثمانية، فترى الناس يعلقونها على أجسادهم، وعلى ممتلكاتهم لتحميها. وكذلك الحذاء القديم الذي يعلقونه على الممتلكات لدفع الحسد، وكذلك تربية بعض أنواع الحيوانات كالسلحفاة لجلب الرزق، وأمثال ذلك الكثير.

أي شيء من هذه الأمور فعله الإنسان، فإن الله تعالى ينزع عن فاعله حِفظه ويَكِلُ أمر حِفظِه إلى هذه الجمادات، فهل تنفعه من دون الله؟! قال رسول الله ﷺ (مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ)[٥٠] وقال ﷺ: (مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ)[٥١] قال القاسم بن سلّام (المتوفى٢٢٤هـ): " وَإِنَّ الَّذِي عِنْدَنَا فِي هَذَا الْبَابِ كُلِّهِ أَنَّ الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ لَا تُزِيلُ إِيمَانًا، وَلَا تُوجِبُ كُفْرًا، وَلَكِنَّهَا إِنَّمَا تَنْفِي مِنَ الْإِيمَانِ حَقِيقَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ الَّذِي نَعَتَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَهُ" [٥٢]

---

[٥٠] رواه أحمد (١٨٧٨١) والترمذي (٢٠٧٢) والحاكم (٧٥٠٣) وحسنه الألباني ومحققو المسند
[٥١] رواه أحمد (١٧٤٢٢) وصححه أحمد شاكر
[٥٢] كتاب الإيمان ص٧٣ وما بعدها

الرقى المشروعة

١١٣ ثُم الــرُّقَى منْ حُمَــةٍ أوْ عَــيْنٍ فَإنْ تكُنْ مِنْ خَالِصِ الوَحْيَيْنِ
١١٤ فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ وشِرْعَتِهِ وَذَاكَ لاَ اخْتِلافَ في سُـنِّيَتِــهِ

بالنسبة للرقية من (الحُمَة) أي السُم واللَّدغة، والرقية من العين الحاسدة، أو غير ذلك، فإن كانت من القرآن والسنّة فقط، فهذا مشروع، ولا خلاف في جوازها. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا) [٥٣]

فيشترط للرقية أربعة شروط:

الأول: أن تكون من الكتاب والسنّة

والثاني أن تكون باللغة العربيّة، أو دعاء بلغة مفهومة إذا كان الداعي أعجمي.

والثالث: أن تكون بكلام مسموع مفهوم، لأن الذي يتمتم بكلام غير مفهوم، لا يمكن أن نأمنه أنه لا يقول شركا.

والرابع: الاعتقاد أن الله تعالى هو الشافي، والرّقية سبب كالدواء.

---

[٥٣] رواه البخاري (٥٧٣٥)

الرقى غير المشروعة

١١٥ أمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعـــاني فَذَاكَ وِسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
١١٦ وَفِيهِ قَدْ جَـاءَ الْحَدِيثُ أَنَّـهُ شِرْكٌ بِلا مِرْيَةٍ فَاحْذَرَنَّـهُ
١١٧ إذْ كُلُّ مَـنْ يَقـولُهُ لا يَـدْرِي لَعَلهُ يَكُونُ مَحْضَ الكُفْـرِ
١١٨ أَوْ هُو مِنْ سحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ عَلَى العَوامِ لَبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ
١١٩ فَحـــذراً ثمَّ حَذـَـارِ مِنْـــهُ لا تَعْرِف الْحَقَّ وَتَنْأى عَنْهُ

والرقى إذا كان الراقي يتمتم بكلام غير مفهوم، فهذا قد يكون فيه شرك أو سِحر، أو كان هناك طلاسم ورموز يكتبها، فهذه شرك كما قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ)[٥٤] وبعض الدجاجلة يدّعون أنهم يتكلّمون باللغة السريانية، وقد وقَعْتُ على بعض الأدعية التي تنتشر بين الصوفية، كالدعوة (الجلجلوتية) و(البرهتية) كما يسمونها، وفيها كلام يقولون أنه أسماء الله باللغة السريانية، فسألت الذين يتحدثون السريانية فقالوا: هذه ليست كلمات سريانية، فليست إلا أسماء للشياطين يدعونهم من دون الله، مثل قولهم (بنور جلال بازخ وشرنطخ بقدوس بركوت به الظلمة انجلت)[٥٥] فهذا كله من الشرك.

[٥٤] رواه أبو داود (٣٨٨٣)
[٥٥] نقل مثال على أقوال المشركين للتحذير منه ليس شركًا.

التمائم

١٢٠ وفي التَّمَـــائِمِ الْمُعَلَّقَـــاتِ إن تَـكُ آيــاتٍ مُبَيِّنــــاتِ
١٢١ فَالاخْتِلاَفُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ فَبَعْضُهُمْ أجَازَها والْبَعْضُ كَفْ

والتمائم هي الأشياء التي تُعلّق على الأشخاص أو الأشياء لجلب الخير أو دفع الشّر، فهذه إن كانت آيات من كتاب الله، فهذا فيه خلاف، فبعض السلف رأوا جوازها، وهذا يشترط له أن تكون مكتوبة بخط مقروء، وليس فيها زيادة ولا تغيير في مواضع الكلمات، أو الكتابة بطرق شبيهة بالطلاسم، ولا تغيير، وبعض السلف رأى عدم الجواز، والرّاجح أنّها لا تجوز.

١٢٢ وإنْ تَكُنْ مِمَّا سوَى الوَحْيَيْنِ فإنَّهَـــا شِـــرْكٌ بِـغَيْرِ مَـيْـــنِ
١٢٣ بَلْ إنَّهَـــا قَسِيْمَـــةُ الأَزْلاَمِ في الْبُعدِ عَن سِيمَا أُولي الإِسْلاَمِ

وإن كانت التمائم فيها شيء من غير الكتاب والسنّة، فكان فيها طلاسم، او رموز، أو من كلام البشر، فهذا محرّم بلا خلاف، وهو من الشّرك، ومن البعد عن عمل أهل الإسلام. وشبهها الناظم بالأزلام، وهي التي كان يستخدمها اهل الجاهلية.

* * *

فصل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيدا.

وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية

تعظيم ما لم يأذن الله بتعظيمه

١٢٤ هَذَا ومِنْ أعْمَــالِ أهْلِ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ أَوْ شَـكِّ
١٢٥ مَا يَقْصُدُ الجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَأذَنِ الله بِأنْ يَعَظَّمَــا

ومن اعمال المشركين التي لا يعملها إلا مَن تلبّس بالشرك: التعظيم لما لم يأذن الله بتعظيمه، أو قد يعبّر عن ذلك اليوم بالتّقديس.

١٢٦ كَمَنْ يَلُذْ ببقعةٍ أَوْ حَجَـرِ أَوْ قَبْرِ مَيْت أَوْ بِبَعْض الشَّجَرِ
١٢٧ مُتَّخِذاً لِذَلِكَ المَكَــــانِ عِيداً كَفِعْلِ عَابِدِي الأَوْثَانِ

ومثال لذلك التعظيم أو التقديس: مَن يراود مكانًا، أو حجرًا، أو قبرًا، أو شجرة، أو غير ذلك، يتّخذه عيدا، يعني يكرر عودته إليه، معتقدًا قدسيّته بلا دليل.

أنواع زيارة القبور

١٢٨ ثُـمَّ الزِّيـارَةُ عَلَى أقْسَـامٍ ثَلاثَـةٍ يَا أُمَّـةَ الإسْـلامِ

زيارة القبور لها ثلاثة أنواع: سنّية، وبدعيّة، وشركيّة.

١٢٩ فإنْ نَوَى الزَّائِرُ فيمَا أضمَـرَهُ في نَفْسِهِ تَـذْكِـرَةً بالآخِـرَةْ

١٣٠ ثُـمَّ الدُّعَـا لَـهُ وللأَمْـوَاتِ بِالعَفْـوِ والصفْـحِ عَنِ الـزَّلاَّتِ

١٣١ وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالِ نَحْوَها وَلَمْ يقُلْ هُجْراً كَقَوْلِ السُّفَهَـا

١٣٢ فَتِلْكَ سُنَّـةٌ أتَتْ صَرِيحَـةْ في السُّنَنِ المُثْبَتَةِ الصَّحِيحَـةْ

هذا النوع الأول، وهو أن يقصد تَذَكُّر الآخرة، وتذكر مصيرَه، والدعاء للموتى، ولم يقل (هُجرًا) أي قولًا محظورًا محرَّمًا، لقول الرسول ﷺ: (وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ فَلْيَزُرْ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا)[٥٦] فهذه الزيارة السنيّة. قال رسول الله ﷺ: (زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ)[٥٧] وعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه، أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَتْ تَزُورُ قَبْرَ عَمِّهَا حَمْزَةَ كُلَّ جُمُعَةٍ فَتُصَلِّي وَتَبْكِي عِنْدَهُ[٥٨]

---

[٥٦] رواه النسائي (٢٠٣٣)

[٥٧] رواه أحمد (١٢٣٦) وصححه محققو المسند، ورواه ابن ماجه (١٥٦٩) وصححه الألباني

[٥٨] رواه الحاكم (١٤١٤) وقال: هَذَا الْحَدِيثُ رُوَاتُهُ عَنْ آخِرِهِمْ ثِقَاتٌ.

=

١٣٣ أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسّلاَ   بِهِـمْ إلى الرَّحْمَنِ جَـلَّ وَعَلاَ
١٣٤ فَبِدْعَةٌ مُحْـدَثَةٌ ضَلاَلَـه   بَعِيْدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَةْ

والنوع الثاني من زيارة القبور: هي التي تكون بقصد التوسل بصاحب القبر إلى الله تعالى، والتقرّب إلى الله تعالى مِن خلال المقبور، وهذه بدعة مُحدثة، لم يشرعها الله تعالى، ولا رسوله ﷺ أمر بها، فهذا تشريع خارج عن شريعة الإسلام، وهو ضلالة. قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) [٥٩]

قال أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): "أُصُول السّنة عندنَا التَّمَسُّك بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم والاقتداء بهم وَترك الْبدع وكل بِدعَة فَهِيَ ضَلَالَة" [٦٠]

وقال ابن أبي داود (المتوفى ٣١٦هـ):

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيا لعلك تفلح [٦١]

ورواه عبد الرزاق (٦٧١٣) و(٦٧١٧) وعمر بن شبة في تاريخ المدينة (ج١ص١٣٢) وابن سعد في الطبقات (ج٣ص١٣) وابن عبد البر في التمهيد (ج٢ص٢٣٣) كل واحد منهم بإسناد غير الآخر،

[٥٩] رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والنسائي (١٥٧٨)

[٦٠] أصول السنة ص١٥

[٦١] القصيدة الحائية

١٣٥ وإنْ دَعا الْمَقبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ أشْرَكَ بِالله الْعَظِيْمِ وَجَحَـدْ
١٣٦ لَنْ يَقْبَلَ الله تَعَالى مِنْــــهُ صَرْفاً وَلا عَدْلاً فَيَعْفُوا عَنْهُ
١٣٧ إذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشكُ الغُفْرَانِ إلاَّ اتِّخَــاذ النِّــدِّ للرحْمــنِ

النوع الثالث من زيارة القبور: هو أن يذهب ويدعو المقبور نفسه، وحتى لو دعا المقبور دون أن يذهب إلى قبره، فكل ذلك شرك أكبر مخرج من الملّة، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾



فصل
في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

وهذا من البلايا المعاصرة التي انتشرت في الأمة، بسبب كيد الشيطان والتّأثر بأهل الشرك.

البناء على القبور

١٣٨ ومَـنْ عَلَى القَبْرِ سِراجاً أوقَـــدَا أوِ ابْتَنى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِداً
١٣٩ فإنّـــه مُجَـــــــدِّدٌ جِهَـــارا لِسُنَنِ الْيَهُودِ والنصَـــــارَى
١٤٠ كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ فَاعِلَهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّـنَنْ

الذي يتخذ عند القبور أنوارًا ويبني عليها المساجد، فهذا قد ترك اتباع شريعة محمد ﷺ، واتّبع انحرافات اليهود والنّصارى، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أُولَئِكَ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [٦٢] بل ولعن رسول الله ﷺ فاعل ذلك، فقال: (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ

[٦٢] رواه البخاري (٤٣٤) ومسلم (٥٢٨)

وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) [٦٣] وجاء في السنن حديث في النهي عن اتخاذ السّرج (جمع سراج) على القبور، لكنّه ضعيف.

ارتفاع القبور

١٤١ بلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُـزَادَ فِيـهِ فَوْقَ الشِّبْـرِ
١٤٢ وَكُلُّ قَبْرٍ مُشرِفٍ فَقَدْ أمَـــرْ بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ

نهى رسول الله ﷺ عن ارتفاع القبر فرق الشّبر، وأمر بتسوية كل قبر مشرف، والمشرف يعني المرتفع، يعني أمر بخفضها لتصبح قريبة من الأرض، قال فضالة بن عبيد رضي الله عنه: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا) [٦٤] يعني القبور المرتفعة. وأمر عليًّا رضي الله عنه، فقال له: (أَلَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرَفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ) [٦٥]

[٦٣] رواه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٢٩)
[٦٤] رواه مسلم (٩٦٨)
[٦٥] رواه مسلم (٩٦٩)

إطراء الرسول ﷺ

١٤٣ وحـــذَرَ الأُمَّةَ عَنْ إطْرَائِـــهِ فَغَرَّهُمْ إبْلِيسُ باسْتِجْرائِـهِ
١٤٤ فَخَالَفوهُ جَهْرَةً وارْتَكَبُــوا ما قدْ نَهَى عَنْهُ ولَمْ يَجْتَنِبُوا

حذر رسول الله ﷺ عن أن يطريه النّاس، والإطراء: هو الإفراط في المدح، فقال: (لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ) [٦٦] ولكن فريقًا من النّاس خالفوه في ذلك، فأطروه وأشركوه مع الله تعالى، فمنهم من يقول عند كربه مستغيثًا: "يا محمّد" ومنهم من جعله خالقًا للدّنيا والآخرة وفضّله على الله تعالى، فسمى الله منتقمًا وملجأه رسول الله ﷺ، وأنّه يعلم الغيب الذي سطره الله في اللوح المحفوظ، وأن هذه جزء من علومه، فهو يعلم فوق ذلك، وذلك في الأبيات التي يرددها هؤلاء في جلساتهم فيقولون:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ .. سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولُ اللهِ جَاهُكَ بِي .. إِذَا الكَرِيمِ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضُرَّتَهَا .. وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ

فنعوذ بالله من الشرك.

---

[٦٦] رواه البخاري (٣٤٤٥)

مخالفة أهل البدع للرسول فيما يخص القبور

١٤٥	فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا	وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا
١٤٦	بالشِّيدِ والآجُرِّ وَالأَحْجَارِ	لا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الأَعْصَارِ
١٤٧	وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا	وَكَمْ لِوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
١٤٨	وَنَصَبُوا الأَعْلامَ وَالرَّايَاتِ	وَافْتَتَنُوا بِالأَعْظُمِ الرُّفَاتِ

وهذه مخالفة أهل البدع لرسول الله ﷺ في القبور، فقد عظّموها وشيدوها، وجصصوها، وبنوا عليها، وعظموا بعضها تعظيمًا شديدًا، وليس تحتها إلا عظامًا لم يأمر الله بتقديسها، ولم يأذن بذلك.

١٤٩	بَلْ نَحَروا فِي سَاحِهَا النَّحَائِرْ	فِعْلَ أُولِي التَّسْيِيبِ والْبَحَائِرِ
١٥٠	والْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُم	وَاتَّخَذُوا إِلَهَهُمْ هَوَاهُمْ
١٥١	قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ	بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهِ
١٥٢	يَدْعُوا إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ	بِالْمَالِ والنَّفْسِ وبِاللِّسَانِ
١٥٣	فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكْ	وَأَوْرَطَ الأُمَّةَ فِي المَهَالِكْ
١٥٤	فَيَا شَدِيدَ الطَّولِ والإِنْعَامِ	إِلَيْكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الإِسْلامِ

وهذه أفعال أهل الشرك القبوريّة، إذ أنّهم ذبحوا الذّبائح تقرّبًا للموتى، كما فعل أهل الجاهليّة، بل وأشركوا بالله تعالى فصاروا يدعون أهل القبور مِن دونه ويطلبون الحاجات منهم، وهذه من فِخاخ ابليس التي صاد فيها قومَ نوح إذ أمَرَهم بصناعة تماثيل لصالحيهم، ومع مرور السنين عبدوهم من دون الله، وهؤلاء أمرهم ببناء

الأضرحة، حتى عبدوا القبور من دون الله. قال ابن عباس عن المذكورين في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ) [٦٧]



[٦٧] رواه البخاري (٤٩٢٠)

فصل
في بيان حقيقة السحر وحد الساحر
وأن منه علم التنجيم، وذكر عقوبة من صدق كاهناً

حقيقة السحر

١٥٥ وَالسحْـــــرُ حَقٌّ وَلَـــهُ تَأْثِيــرُ لكِـــــنْ بِما قَـــدَّرَهُ الْقَدِيــرُ
١٥٦ أعْنِي بِذَا التَّقْدِيـرِ مَا قَدْ قَدَّرَهُ فِي الْكَوْنِ لا في الشِّرعَةِ الْمُطَهَّرَةْ

السحر حق، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، فقال: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ فدل على أن السّحر حقيقة، وأنّه يؤثّر.

والسحر منه ما يقتل، ومنه ما يُمرِض، ومنه ما يسبب الأوهام، ومنه ما يفرّق بين الزّوجين، ولكن ذلك لا يكون إلّا بقدر الله تعالى، والأمور التي جعلها في كونه، ولم يأمر بها في شرعه.

تكفير الساحر

١٥٧ واحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتكْفِيرِ وَحَـــدُّهُ القَتْــلُ بِلا نَكِيـــرِ

وحُكم الساحر في شرعِنا أنّه كافر، لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ

عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فالشياطين ادّعَوا أنّ سليمان ﷺ كان يَسحر فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ دليل على أنه لو استخدم السحر لكفر، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ أي استخدموا السّحر، فعبّر عن السحر بالحكم المترتب عليه، وهو الكفر، وقال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فدل على انّ تعلّم السّحر كفر.

الحكم القضائي على الساحر

١٥٧ واحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتكْفِيرِ — وَحَدُّهُ القَتْـلُ بِلا نَكِيـرِ
١٥٨ كَمَا أتَى في السُّـنَّةِ المُصَرَّحَـةْ — مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ
١٥ عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَـذَا في أثَـرِ — أمرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِي عَنْ عُمَـرِ
١٦٠ وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِندَ مَالِكِ — مَا فِيهِ أقْوَى مُرْشِدٍ للسالِكِ

وحُكمه عند القضاء القتل، وهذا كما روى الترمذي في جامعه برقم (١٤٦٠) عن جُنْدُب رضي الله عنه: (حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ) وهذا الحديث لا تصح نسبته لرسول الله ﷺ وإنما هو من كلام جندب رضي الله عنه. كذلك روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال: (اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ) [٦٨] وصحّ عن

---

[٦٨] رواه أبو داود (٣٠٤٣)

حفصة رضي الله عنها أنّها قتلت جاريةً لها سحرتها، وأصل الأثر عند ابن أبي شيبة [٦٩] وفي مصنف ابن عبد الرزاق [٧٠] عَنِ ابْنِ عُمَرَ: (أَنَّ جَارِيَةً لِحَفْصَةَ سَحَرَتْهَا وَوَجَدُوا سِحْرَهَا، فَاعْتَرَفَتْ بِهِ، فَأَمَرْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدٍ، فَقَتَلَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، فَأَنْكَرَهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَأَتَاهُ ابْنُ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا سَحَرَتْهَا وَاعْتَرَفَتْ بِهِ وَوَجَدُوا سِحْرَهَا، فَكَأَنَّ عُثْمَانَ إِنَّمَا أَنْكَرَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا قُتِلَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ)

شُعَب السحر

١٦١ هَذَا وَمِنْ أَنْوَاعِهِ وَشُعَبِــهْ عِلْمُ النُّجُومِ فَادْرِ هَذَا وَانْتَبِهْ

ومن أنواع السّحر: سحر الصّابِئَة والكِلدانيين، وهو سحر يفعلونه عند وجود حركة معيّنة في النّجوم.

ومن أنواعه ما يُسمّى بعلم الحروف، وهو ينسب إلى اليهود وتسمّى عند العلماء "حروف أبي جاد" وذلك أنّهم يعطون كل حرف من الأحرف الأبجديّة قيمة رقميّة، ويأخذون أسماء النّاس ثم يسحرون بناءً على ذلك، أو يدّعون أن هذه القيمة الرّقميّة تخبرهم بشيء من الغيب. وروى عبد الرزاق [٧١] وابن أبي شيبة [٧٢] بإسناد

---

[٦٩] (٢٧٩١٢)

[٧٠] (١٨٧٤٧)

[٧١] برقم (٢٠٧١٥)

[٧٢] برقم (٢٥٦٤٨)

صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (**إِنَّ قَوْمًا يَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ وَفِي حُرُوفِ أَبِي جَادٍ، [قَالَ:] أَرَى أُولَئِكَ قَوْمًا لَا خَلَاقَ لَهُمْ**)، وقال الكلبي: "هم اليهود، طلبوا علم أجل هذِه الأمة، واستخراجه من حساب الجُمّل" [٧٣]

وحروف أبي جاد يحسُبُ بها اليوم المشتغلون بما سموه: "الإعجاز العددي" والله المستعان.

ومن أنواع السحر: سحر الطّلاسم، وهو كلمات ترسم على أشكال مربعات، أو نجوم، أو زخارف، وأحيانا يرسمون مربّعات بداخلها أرقام، وتوضع الأوراق المرسوم عليها في أماكن معيّنة، كل سحر بحسبه، أو قد يُغسَل الطلسم في ماء ليُسقاه الشخص، أو يصبّ عليه ذلك الماء، أو على عتبة داره.

وللسحر أنواع أخرى.

لكن على المسلم أن لا يوسوس مِن هذه الأمور، فالسّحر مثل أي مرض، أو أي أذيّة معروفة.

لكن يجب أن نعرف مثل هذا لأن كثير ممن يدّعون أنهم شيوخ لهم كرامات، أو معالجون روحانيون، أغلبهم سحرة فاحذروا منهم.

---

[٧٣] تفسير الثعلبي، عند آية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾

مسألة: علامات السّاحر

لكون الناس في البيئة الإسلاميّة ينفرون من السّحرة ويعرفون أن السّحر كفر؛ اتّخذ السّحرة وسائل لخداع النّاس، فمنهم من يتسمّى باسم المعالج الرّوحاني، وهذا الرّوحاني ساحر بلا شك، ومن هؤلاء من يدّعي أنّه يتعامل مع الجنّ المُسلم، وهذا ساحر كاذب بلا شك.

ومن السحرة من يدّعي أنّه شيخ وله كرامات، ومنهم من يدّعي أنّه راقٍ يعمل بالرّقية، ومنهم من يدّعي أنّه يعالج بالأعشاب، وهؤلاء قد يلتبس أمرهم على النّاس، فعلامات السّاحر منهم هي:

١- يخبر الشخص بأمر غيبي، مثل أن يخبره باسمه، أو يقول له: انت جئتني لأجل كذا وكذا، دون أن يكون القادم إليه أخبره.
٢- السّؤال عن اسم الأم.
٣- أن يطلب شيئا من الأثر، يعني يطلب أن تأتيه بظفر، او شعر، او قميص داخلي.
٤- أن يعطيك شيئًا مغلقًا ويأمرك بعدم فتحه.
٥- أن يطلب منك أن تأتيه بشيء نجس.
٦- أن يطلب منك أن تذبح ذبيحة.
٧- أن يقول كلاما يدّعي أنّه باللغة السريانية أو العبريّة، أو يطلب منك قول مثل هذا الكلام.

٨- ان يتمتم بكلام غير مفهوم.
٩- أن يقرأ أو يكتب آيات مع حذف أحرف أو كلمات منها، أو يقرأه بالمقلوب، أو يكتبه بالمقلوب أو يطلب منك ذلك.

كل هذه علامات على أنّه ساحر، ولا تجتمع كلّها وإنما واحدة منها تكفي للحذر منه.

والشيخ أو الراقي عنده كتاب الله وسنّة رسوله، دون خزعبلات ولا أمور غريبة.

فك السحر

١٦٢ وَحِلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصّاً يُشْرَعُ أَمَّا بِسحْرٍ مِثْله فَيُمْنَعُ

(حِلّه) أي فكّ السّحر وعلاجه بنصوص الوحي، كقراءة القرآن، والدّعاء بأدعية الرّسول ﷺ مشروع، وجائز، أما حلّه بالسّحر فلا يجوز مطلقًا، لأن عمل السّحر كفر، وإنما كلام الله شفاء، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾

كفر من صدق كاهنا

١٦٣ وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهناً فَقَدْ كَفَرْ بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ المُعْتَبَرْ

والكاهن هو الّذي يدّعي علم الغيب، فمن صدّق الكهنة فقد كفر بما أُنزل على

محمد ﷺ، فقد قال ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٧٤) والذي أنزله الله على محمد ﷺ هو الوحي، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فمن اعتقد أن غير الله يعلم الغيب فقد كفر، إلا الرُّسل فإن الله يخبرهم ببعض أمور الغيب، قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾

بل حتّى لو أتى الكاهن ولم يصدّقه فقد قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (٧٥) وهذا يدخل فيه قراءة الكف، والفنجان، والأبراج في المجلات، وحظك اليوم، وحتى الألعاب التي فيها: متى ستموت، وما مهنتك المستقبليّة، وما شابه ذلك.

* * *

(٧٤) رواه الحاكم (١٥) وصححه، وقال الذهبي "على شرطهما" يعني البخاري ومسلم.

(٧٥) رواه مسلم (٢٢٣٠)

فصل
يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين
وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وبيان أركان كل منها

وهذا الفصل ندرس الدين ومراتبه وأركانه.

الدين قول وعمل

١٦٤ اعْلَمْ بِأَنَّ الدينَ قوْلٌ وعَمَلْ فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلْ

الدين قول وعمل، وهذا ما عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وأتباعهم من أهل السنّة، ودليله قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وقال نوح وهود وصالح وشعيب صلى الله عليهم وسلم لأقوامهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وقال إبراهيم ﷺ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ وقال المسيح ﷺ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ بل هذا بإجماع الأنبياء، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ والعبادة العمل الموافق لأمر الله بنيّة التّقرّب إليه وحده.

ومن الإجماع: قال ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ): " وَعَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ يَزِيدُ

بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ جَمَاعَةُ أَهْلِ الْآثَارِ وَالْفُقَهَاءُ أَهْلُ الْفَتْوَى بِالْأَمْصَارِ ... وَعَلَى هَذَا مَذْهَبُ الْجَمَاعَةِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ " (٧٦)

مراتب الدين

١٦٥ كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ
١٦٦ عَلَى مَرَاتِبٍ ثَلَاثٍ فَصَّلَهْ جَاءَتْ عَلَى جَمِيعِهِ مُشْتَمِلَةْ
١٦٧ الإِسْلَامُ والإِيمَانُ والإِحْسَانِ ولْكُلِّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانِ

وذلك أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ على هيئة بشر، وسأله ليُعَلِّمَ الناسَ دينهم، فسأله عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وجاوب رسول الله ﷺ بإجابات مختلفة، دلت على تفاوت هذه المراتب، كما سنبيّن بإذن الله، وسأذكر كل جزء من الحديث في موضع، والحديث رواه البخاري (٧٧) ومسلم (٧٨)

أركان الإسلام

١٦٨ فَقَدْ أَتَى الإِسْلَامُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسٍ، فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلا

---

(٧٦) التمهيد ج٩ ص٢٥٢
(٧٧) (٥٠)
(٧٨) (٩)

سأل جبريل رسول الله ﷺ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) فهذه الخمس هي أركان الإسلام، فمن أتى بالشهادتين والصلاة كان مسلما، ومن تركها ترك الإسلام. أما الزكاة وصيام والحج، فمن تركها كان عاصيًا، أو كافرًا كفرًا أصغرًا لا يُخرجه من الدّين.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: "مَا عَلِمْنَا شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ قِيلَ: تَرْكُهُ كُفْرٌ، إِلَّا الصَّلَاةَ " [٧٩]

وقال أحمد بن حنبل (توفى٢٤١هـ): "وَمن السّنة اللَّازِمَة الَّتِي من ترك مِنْهَا خصْلَة لم يقبلهَا ويؤمن بهَا لم يكن من أَهلهَا... (وَمن ترك الصَّلَاة فقد كفر) (وَلَيْسَ من الْأَعْمَال شَيْء تَركه كفر إِلَّا الصَّلَاة) من تَركهَا فَهُوَ كَافِر وَقد أحل الله قَتله" [٨٠]

ركن الإسلام الأول: الشهادتان

١٦٩ أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأَعْظَمُ ... وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ الأَقوَمُ

١٧٠ رُكنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لا تَنْفَصِمْ

---

[٧٩] رواه الخلال في السنة (١٣٧٨)

- (٨٠) أصول السنة ص٣٥

أول ركن من أركان الإسلام هو الشهادتين، وهي العروة الوثقى التي من استمسك بها ثبت، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ والكفر بالطاغوت هو الكفر بكل ما يُعبد من دون الله، والبراءة من ذلك، والإيمان بالله هو الإيمان بأنه الإله الواحد المستحق للعبادة، والانقياد له.

ركن الإسلام الثاني: الصلاة

١٧١ وثانياً إقامةُ الصَّــــلاةِ وَثالِثاً تَأْدِيَةُ الزَّكَـــاةِ

الركن الثاني من أركان الإسلام هو الصلاة، قال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ فقد افترض الله تعالى على عباده خمس صلوات في اليوم والليلة، قال رسول الله ﷺ: (وَقْتُ الظُّهرِ مَا لَمْ يَحْضُرِ الْعَصْرُ، وَوَقْتُ الْعَصْرِ مَا لَمْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ، وَوَقْتُ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَسْقُطْ ثَوْرُ الشَّفَقِ، وَوَقْتُ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، وَوَقْتُ الْفَجْرِ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ) [٨١] وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ) [٨٢] وزاد ابن ماجه [٨٣]: (فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ)

---

[٨١] رواه مسلم (٦١٢)

[٨٢] رواه مسلم (٨٢)

[٨٣] (١٠٨٠)

ركن الإسلام الثالث: الزكاة

١٧١ وثانياً إقَامَةُ الصَّـــلاَةِ وَثَالِثاً تَأْدِيَةُ الزَّكَـــاةِ

والزكاة ثالث الأركان، وهي إخراج جزء محدد من المال، بصفة حددها الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ والزكاة تكون بالمال، والزرع، والبهائم، والتجارة.

أما المال سواءً كان ذهبًا أو فضة، أو ما يقوم مقامهما كالنقود، فإذا امتلك المسلم مقدارًا محددًا منها، ومرَّ على امتلاكه له سنة قمريَّةً كاملةً، فيُخرِج منها ربع العشر، أي اثنان ونصف بالمئة.

وأما التجارة فإن البضاعة تُعْتَبَرُ مالًا، تُقَيَّمُ بقيمة المال، وتخرج زكاتها، والأفضل أن يُخرِجَ زَكَاتَها مِن السِّلَعِ نفسَهَا، وقد جوَّز عدد من العلماء أن يُخرِجَ الزكاة نقودًا لأن البضاعة تُقَدَّر بالمال.

والمواشي يقصد بها الإبل، والبقر، والضأن، والمَعْز، وأيضا لها مقدار معين يمر على امتلاكه سنة؛ فتُخرَجُ زكاتها بعد مرور عام، ولها طريقة حساب خاصّة.

وأما الزورع فالزكاة في أنواع محددة، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: عِنْدَنَا كِتَابُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ إِنَّمَا (أَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ

وَالزَّبِيبِ وَالتَّمْرِ) (٨٤) تؤدّى يوم الحصاد.

وليس هنا مجال ذكر التفاصيل، وإنما تُدرَس في الفِقه.

وأما ما امتلكه المرء من عقارات، وأثاث، ولباس وزينة، وسائر الممتلكات التي لم نذكرها؛ فلم يفرض الله فيها الزكاة، ما لم تكن للتجارة.

قال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن: (فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) (٨٥) وقوله (وَتُرَدُّ) دلالة على أن هذا المال الذي يجب إخراجه في الزكاة هو حق للفقراء، فإذا أكله ذلك الغني ولم يخرجه لمستحقيه؛ فقد أكل حق غيره بالباطل، فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يعني إذا لم يخرجوا زكاتها.

ركن الإسلام الرابع: الصوم

١٧٢ وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ وَالْخَامِسُ الحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِعْ

الركن الرابع من أركان الإسلام هو الصيام، وهو الانقطاع عن الأكل والشرب

(٨٤) رواه الدارقطني (١٩١٤) والحاكم (١٤٥٨) وقال: " هَذَا حَدِيثٌ قَدِ احْتَجَّ بِجَمِيعِ رُوَاتِهِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَمُوسَى بْنُ طَلْحَةَ تَابِعِيٌّ كَبِيرٌ لَمْ يُنْكَرْ لَهُ أَنَّهُ يُدْرِكُ أَيَّامَ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ".

(٨٥) رواه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩)

والشّهوة من طلوع الفجر إلى غياب الشمس في أيام رمضان، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾

ركن الإسلام الخامس: الحج

١٧٢ وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ وَالْخَامِسُ الحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِعْ

والحجُّ هو الذهاب إلى مكة لأداء عبادة لله مخصصة، فيها الطواف بالكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والمبيت بمنى، والوقوف بعرفة، والمبيت بالمزدلفة، ورمي الجمار، وهو فرض على المسلم مرة واحدة في عمره، بشرط أن يكون قادرًا، فإن لم يكن قادرًا فليس فرضًا عليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فالله فرض الحج على النّاس، واستغنى عن الكفار، فهم لا يجوز أن يدخلوا مكة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾

أركان الإيمان

١٧٣ فَتِلْكَ خَمْسَةٌ. وللإيمَـانِ سِتَّةُ أَرْكَانٍ بِلاَ نُكْـرَانِ

بعد أن ذكرنا أركان الإسلام الخمسة؛ نذكر أركان الإيمان، وهي ستّة، إذ سأل جبريلُ رسولَ الله ﷺ، كما في الحديث الذي أشرنا إليه سابقًا، قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)

ركن الإيمان الأول: الإيمان بالله

١٧٤ إيمَانُنَا بِالله ذِي الْجَـلاَل وَمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْكَمَـال

الركن الأول من أركان الإيمان هو الإيمان بالله تعالى، بصفاته التي أخبرنا بها بالوحي، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾

قال العلَّامة المُزني (المتوفى٢٦٤هـ): "لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله ﷻ على عرشه بصفاته" [٨٦]

---

[٨٦] سير أعلام النبلاء ج١٢ص٤٩٤

ركن الإيمان الثاني: الإيمان بالملائكة

١٧٥ وَبالْمَلائِكـةِ الْكِرَامِ الْبَـرَرَة وَكُتْبِــهِ الْمُـنْزَلَـةِ الْمُطَهَّــرَةْ

الركن الثاني من أركان الإيمان، هو الإيمان بالملائكة، وهم مخلوقات خلقهم الله من نور، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ومنهم من يُرسلهم الله تعالى إلى الأنبياء ليبلغوهم برسالاته، كجبريل عليه السّلام، ومنهم ميكائيل، وهو الموكل بالمطر، ومنهم إسرافيل، وهو الموكل بالنفخ في الصور.

والمسلمون يحبون الملائكة على عكس بعض الكافرين الذين يعادونهم، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[٨٧]

ومن اعتقادات أهل الجاهلية أنهم يدّعون أن الملائكة إناثًا: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾

---

[٨٧] كلمة "ميكائيل" جاءت في أكثر القراءات المتواترة هكذا، وقرأها أبو عمرو، وحفص، ويعقوب: "ميكال". والله تعالى أنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف (لهجات) كلها من عند الله تبارك وتعالى.

ركن الإيمان الثالث: الإيمان بالكتب

١٧٥ وَبالْمَلائِكةِ الْكِرَامِ الْبَررَة   وَكُتْبِهِ الْمُنْزَلَةِ الْمُطَهَّرَة

والركن الثالث: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رُسُله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ فنؤمن أنّ الله أنزل كتبًا على رسله، منها ما نعرف اسمه، ومنها ما لا نعرف، ونؤمن أنّها كلها حقٌ، وفيها هدى ونور، ومنها صحف إبراهيم، والتوراة، والزّبور، والإنجيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، وقال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ وقال: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ وقال: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ وخاتم الكتب المنزلة هو القرآن العظيم، وهو المهيمن عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ونعلم أنّ التوراة حرّفها اليهود، والإنجيل مفقود، أما الذي بين أيدي النصارى ويسموه الإنجيل، فهو ليس بالإنجيل، وإنما سِيرة حياة المسيح ﷺ، كتبها تلاميذه، وفيها شيء من أقواله، وحتى هذه فلا تثبت صحة نسبتها إلى مؤلفيها.

وإن الرسول ﷺ أخبرنا عن قوم من المسلمين سيكتبون كتبًا تتلى على الناس تصرفهم عن كتاب الله تعالى، وأنها ستتلى على الناس وهم راضين بها لا يردُّون ذلك، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يَظْهَرَ الْقَوْلُ

وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ، أَلَا إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ تُتْلَى الْمَثْنَاةُ فَلَا يُوجَدُ مَنْ يُغَيِّرُهَا) قِيلَ لَهُ: وَمَا الْمَثْنَاةُ؟ قَالَ: (مَا اسْتُكْتِبَ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِ الْقُرْآنِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَبِهِ هُدِيتُمْ، وَبِهِ تُجْزَوْنَ، وَعَنْهُ تُسْأَلُونَ) (٨٨) ولو فتحنا كتب عقائد أهل الكلام من معتزلة وأشاعرة نجد أن فيها الرد الصريح لآيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ، وفيها من الكلام الفلسفي الذي هو أصل عقائدهم الشيء الكثير، بل وبعض كتبهم تمر عليك الصفحات الكثيرة فيه لا تجد فيها آية ولا حديثًا، وتراها تتلى عليهم لا يغيرها منهم أحدا، وكذلك الحال مع كتب المذاهب التي تجد كثير منها تصنف في ذكر آراء رجال المذهب، وتقريبا تخلو من كلام الله وكلام رسوله، وهي تتلى على كثير من الناس لا يغيرها منهم أحد، بل وإذا نصحهم أحد بعدم الانتماء إلى هذه الانتماءات، وبدراسة القرآن والسنة بدلا من دراسة هذه الكتب؛ حاربوه. والله المستعان.

ركن الإيمان الرابع: الإيمان بالكتب

١٧٦ ورُسْلِهِ الهُدَاةِ لِلأَنَــامِ مِن غَيْرِ تَفْرِيقٍ ولا إيهَامِ

الركن الرابع من أركان الإيمان هو الإيمان بالرُّسُل عليهم السلام، دون تفريق بينهم في الإيمان بهم، وصدقهم، ووجوب طاعتهم، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ

(٨٨) رواه الدارمي (٤٩٣) وقال حسين سليم أسد: إسناده جيد، ورواه الحاكم (٨٦٦٠) و (٨٦٦١) بلفظ قريب، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. وقال الذهبي: صحيح

مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

والرسول درجة أعلى من النّبي، فالرسول هو من يُرسل إلى قومٍ مخالفين له لتبليغهم بشرعٍ جديد، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ اما النّبي فهو يوحى إليه بشرع مَن قبله لإحكامه وضبط المسائل المتجددة، ويبلِّغ ذلك قومًا موافقين له.

والأنبياء كُثُر، وقد أخبرنا الله بأسماء خمس وعشرين نبيًا منهم، وقد جمعتها بقولي:

هَذَا قَصِيْدٌ فِيْ أَسامِي الأَنْبِيَا * * * أَحْصَيْتُهَا مِنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ

آدَمْ وَإِدْرِيْسٌ، وَنُوْحٌ أَوَّلٌ * * * لِلْمُرْسَلِيْنَ إلى أولِي الأَوْثَانِ

هُوْدٌ وَصَالِحٌ وابْرَهِيْمُ المُصْطَفَى * * * لُوْطٌ وَإِسْمَاعِيْلُ ذُوْ الإذْعَانِ

إِسْحَاقُ يَعْقُوْبٌ وَيُوْسُفُ إِبْنُهُ * * * وَشُعَيْبُ أَيُّوْبٌ أولُوْ العِرْفَانِ

ذُو الكِفْلِ يُوْنُس ثُمَّ يَأْتِيْ بَعْدَهُمْ * * * مُوْسَى وَهَارُوْنُ الْفَصِيْحُ الثَّانِيْ

وَاذْكُرْ مِنَ الأَخْيَارِ إِلْيَاسَ اليَسَعْ * * * دَاوُدَ ذَا الأَيدِ أَبُوْ سُلَيْمَانِ

زَكَرِيَّا يَحْيَى عِيْسَى ثُمَّ مُحَمَّدًا * * * وَاخْتِمْ بِهِ، وَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَانِ

من هما أول وآخر الرُّسُل

١٧٧ أَوَّلُهُمْ نُوحُ بِلا شِكٍّ كَمـا أَنَّ مُحَمَّداً لَهُمْ قَدْ خَتَمـا

أول الرُّسل نوح ﷺ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ولأن أُمّته أوّل أمّة تكذّب المرسلين. أما آدم ﷺ فقد كان نبيًا، وليس رسولًا.

كما أنّ محمّدًا ﷺ هو آخر الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وفي قراءة أخرى: ﴿وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ﴾ وقال هو ﷺ: (لَا نَبِيَّ بَعْدِي)[٨٩]. فمن ادّعى النّبوّة بعده كفر، ومن آمن بنبيٍّ بعده كفر، مثل غلام القادياني وأتباعه.

أما عيسى بن مريم ﷺ، وكونه سيأتي في آخر الزّمان، فهو نبيٌ قبل محمد ﷺ، وليس بعده، وعندما ينزل فسينزل ليحكم بشريعة محمد ﷺ، كما أخبر رسول الله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا)[٩٠]

---

[٨٩] رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢)

[٩٠] رواه البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥)

أولو العزم من الرسل

١٧٨ وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُوْلُو الْعَزْمِ الأُلَى في سُورَةِ الأَحْزَابِ والشُّورَى تَلا

ومن الرَّسَل من سماهم الله "أولو العزم" وهم أفضل الأنبياء، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وقال النّاظم أنهم خمسة ذكروا في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وفي سورة الشّورى في قوله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وقال كثير من العلماء أن هؤلاء هم أولو العزم، ولم أجد دليلًا يصح في تخصيصهم بذلك، وإن كانت سيرتهم تدل على فضلهم وجَلَدهم، إلا أن تحديدي أولي العزم فيه خلاف على أقوال عديدة.

ركن الإيمان الخامس: اليوم الآخر

١٧٩ وَبالْمَعَادِ أيْقَنَ بلاَ تَـرَدُّدِ ولا ادَّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ

الركن الخامس من أركان الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ الآية. وهو اليوم الذي يبعث الله فيه الناس للحساب والجزاء. ولا يعلم أحدٌ موعد السّاعةِ إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

والإيمان بالآخرة يتضمن أمورًا ذكرها الناظم في الأبيات القادمة.

علامات الساعة

١٨٠ لكِنَّنَا نُؤْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى

١٨١ مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا وَهِيَ عَلامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا

يقول مع أننا نؤمن بعدم معرفة الخلق لموعد القيامة، إلا أننا نؤمن بما ذكره الرسول ﷺ من آيات، أي علامات لها.

كقول الله تعالى عن المسيح عيسى بن مريم ونزوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ﴾ وقوله في الدّابة: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ وقول الرسول ﷺ: (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ - يَعْنِي آمَنُوا - أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ

نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) [٩١]

الإيمان بالموت

١٨٢ وَيَدْخُلُ الإيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتِمَا

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالموت، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ومن ذلك أن الأنبياء يموتون، ومنهم محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ وقد كذّب بموته طائفة من القبوريّة.

ومن الإيمان أن نؤمن بما بعد الموت، من حياة خاصّة في القبر، فيها نعيم للمتقين، وعذاب للمجرمين، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وهذا البرزخ، أو حياة البرزخ هي التي تكون في القبر.

سؤال القبر

١٨٣ وَأَنَّ كُلاًّ مُقْعَدٌ مَسْؤُولُ: مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟

١٨٤ عِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا

---

[٩١] رواه البخاري (٧١٢١) وفي مسلم أحاديث قريبة المعنى

١٨٥ وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِـكَ بِـأَنَّ مَا مَــوْرِدُهُ الْمَهَالِــــكَ

وذلك في القبر، قال رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ

فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ "، قَالَ: " فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ " قَالَ: " فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ، فَلَا تَزَالُ تَخْرُجُ، ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهُ لَا يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ) [٩٢]

وقال ﷺ: (إِذَا أُقْعِدَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ﴾)[٩٣] وقال ﷺ: (إِنَّ العَبْدَ

---

[٩٢] رواه أحمد (٨٧٦٩) وصححه المحققون، ورواه ابن ماجه (٤٢٦٢) وصححه شعيب والألباني.

[٩٣] رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)

إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ)[٩٤] وهذا كذّب به المعتزلة، والمنافقون، بحجّة أن عقولهم لم تقبله. نسأل الله العافية.

البعث والنشور

١٨٦	وَباللِّقَا والْبَعْثُ والنُّشُــورِ	وَبِقِيَـامِنَـــا مِــنَ القُـبُـــورِ
١٨٧	غُرْلاً حُفَاةً كَجَرادٍ مُنْتَشِـرْ	يَقُولُ ذُو الكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٌ عَسِرْ

ومن الإيمان: الإيمان بلقاء الله تعالى، بعد البعث والنّشور، وذلك أن الله تعالى يبعث الموتى كما قال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ والقيام من القبور يكون كما ينبت الزرع، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾

---

[٩٤] رواه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠)

ثم يُحشر النّاس: أي يُجمعون، وهم حفاة عراة غُرلا -أي غير مختونين- قال تعالى: (إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾) [٩٥]

يوم المحشر وحشر الناس

١٨٨ وَيُجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ جَمِيعُهُمْ عُلْوِيُّهُمْ والسُّفْلِي

يُجمع الخلق جميعهم في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾

(عُلْوِيُّهُمْ): أي من أهل السماء، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾

(والسُّفْلِي): أي أهل الأرض، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

أهوال يوم القيامة

١٩١ وَارْتَكَمَتْ سَحَائِبُ الأَهْوَالِ وَانعَجَمَ البَلِيْغُ فِيْ المَقَالِ

١٨٩ فِي مَوْقِفٍ يَجِلُّ فِيهِ الْخَطْبُ وَيَعْظُمُ الْهَوْلُ بِهِ والْكَرْبُ

---

[٩٥] رواه البخاري (٣٣٤٩) ومسلم (٢٨٦٠)

والموقف هنالك عظيم، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ ومن شدّة هذا اليوم، وخوف الناس فيه فإن بعضهم سيفر من أهله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

إلا أن المتقين يخفف الله عنهم هول ذلك اليوم، قال تعالى عن المؤمنين إذ يقولون: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ وقال الله في الحديث القدسي: (وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [٩٦]

الحوض

٢٠٥ وَحَوْضُ خَيْرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وبِهِ ... يَشْرَبُ فِي الْأُخْرَى جَمِيعُ حِزْبِه

وذلك في يوم المحشر إذ تدنو الشمس، ويعطش النّاس، فينصِبُ اللهُ لكل نبي حوضًا يشربُ منه أتباعُه، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَصْحَابًا مِنْ أُمَّتِهِ، وَإِنَّ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ قَائِمٌ عَلَى حَوْضٍ مَلْآنَ مَعَهُ عَصًا، يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ سِيمَا يَعْرِفُهُمْ بِهَا نَبِيُّهُمْ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً) [٩٧]

---

[٩٦] رواه ابن حبان (٦٤٠)

[٩٧] رواه الترمذي (٢٤٤٣) والطبراني (٦٨٨١) وصححه الألباني

وحوض نبينا ﷺ حقٌّ كما أخبر عليه الصلاة والسلام، وبه يشرب جميع حزبه [أي أتباعه]. وذلك في الأخرى، يعني الآخرة.

وقال ﷺ: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا) (٩٨) ويقدُمُ إليه أناس من أمّته يعرفهم بعلاماتهم، ولكن الملائكة تمنعهم من ورود الحوض لأنّهم مبتدعة، قال ﷺ: (لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي) (٩٩)

الشفاعة العظمى

٢٠٧ كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ العُظْمَى كَمَا ... قَدْ خصَّـهُ الله بِهَـا تَكَـرُّمَـا

٢٠٨ مِنْ بَعْد إذن الله لا كَمَا يَرَى ... كُـلُّ قُبُـوريٍّ عَلَى الله افْتَـرَى

٢٠٩ يَشْفَـعُ أوَّلاً إلى الرَّحْمَـنِ في ... فَصْل القَضَاءِ بَيْنَ أهْل الْمَوْقِفِ

٢١٠ مِن بَعْدِ أنْ يِطْلُبهَا النَّاسُ إلى ... كُلِّ أُولِي العَزْمِ الهُدَاةِ الفُضَـلا

الرسول ﷺ يشفع ثلاث شفاعات، اثنتان منها خاصتان به، وهما الشفاعة في بدء الحساب، والشفاعة في فتح باب الجنّة، والثالثة له ولغيره وهي الشفاعة في إخراج

---

(٩٨) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢)

(٩٩) رواه البخاري (٦٥٨٣)و(٦٥٨٤) ومسلم (٢٢٩٥)

أناس من النار، أو تخفيف عذابهم، أو رفع درجات بعض أهل الجنة.

والشفاعة العظمى هي التي يشفعها لأمته، وهي ما قاله رسول الله ﷺ: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟

يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ،

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ،

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا

إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى

فَيَأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ،

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ

فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)

جاء في رواية ضعيفة: (فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ فَشَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ فَاقْضِ بَيْنَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ أَنَا آتِيكُمْ فَأَقْضِي بَيْنَكُمْ) [١٠٠]

تتمة الحديث السابق: (فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ،

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ) [١٠١]

قال أبو هريرة: (سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ في قَولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قالَ: هوَ المقامُ الَّذي أشفعُ فيهِ لأُمَّتي) [١٠٢]

---

[١٠٠] رواها إسحاق في مسنده ١٠، والبيهقي في البعث والنشور ٦٠٩، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢٧٣، واسناده ضعيف جدا، فقد رواه من طريق (إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ الْمَدِينِيُّ [قلت: ضعيف، وقال النسائي متروك]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ [قلت: مجهول]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ [قلت: روى له الشيخان]، عَنْ رَجُلٍ، مِنَ الْأَنْصَارِ [لا يقبل حديث من مجهول]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) وقد سألت الشيخ مصطفى بن العدوي إن كان يعرف هذه الزيادة من وجه ثابت، فقال لي: لا تثبت.

قلت: أما من حيث المعنى، فالسياق يشهد لمعناها، حيث أن ظاهره يلمح إلى وجود اختصار، ويؤيد هذا الاختصار ما رواه أحمد برقم ٢٥٤٦، وهو صحيح، وفيه أن الرسول ﷺ يسجد ويحمد الله تعالى ثم يقول أمتي، وذلك بعد دخول الجنة، وسأورد هذا الحديث في كلامي عن الشفاعة الثالثة، إلا أن الرواية التي بين أيدينا هذا الإسناد لا يقوّم، وإن وجدنا لها إسنادا صالحة فذلك أحلى على القلب من العسل.

[١٠١] رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤)

[١٠٢] رواه أحمد (٩٦٨٤) والترمذي (٣١٣٧) وصححه الألباني

لواء الحمد

٢٠٦ كَذَا لَه لِوَاءُ حَمْدٍ يُنْشَـرُ وَتَحْتَهُ الرُّسْلُ جَمِيعَاً تُحْشَرُ

وذلك أنه يحمل لواءً، واللواء هو الراية، عندما يتقدّم ﷺ البشريّة جميعَها ليشفع لهم شفاعته العظمى، قال ﷺ: (وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي)[١٠٣]

وقال: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَمُشَفَّعٍ، بِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ، تَحْتِي آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ)[١٠٤]

ويتقدّم الناس أيضًا في الشفاعة الثّانية بلواءه فيستفتح لهم باب الجنّة، قال: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، مَا مِنْ أَحدٍ إِلَّا وَهُوَ تَحت لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْتَظِرُ الْفَرَجَ، وَإِنَّ مَعِي لِوَاءَ الْحَمْدِ، أَنَا أَمْشِي وَيَمْشِي النَّاسُ مَعِي حَتَّى آتِيَ بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِمُحَمَّدٍ)[١٠٥]

---

[١٠٣] رواه مسلم (٢٣٥٤) والبخاري (٣٥٣٢)

[١٠٤] رواه ابن أبي عاصم في السنّة (٧٩٣) وابن حبان (٦٤٧٨)

[١٠٥] رواه الحاكم (٨٢) وقال: "صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال الذهبي: على شرطهما ولم يخرجاه، ومثله عند الترمذي (٣٦١٥)

نشر الصحائف

١٩٦ وَنُشِرَتْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ تُؤْخَذُ باليَمِينِ والشِّمَالِ
١٩٧ طُوبَى لِمَنْ يَأْخُذُ بِالْيمِينِ كِتَابَهُ بشرى بِحُورٍ عِينِ
١٩٨ وَالْوَيْلُ لِلآخِذِ بالشِّمَالِ وَرَاءَ ظهْرٍ لِلْجَحِيمِ صَالِي

حين يأذن الله تعالى ببدء الحساب تتطاير صحائف الأعمال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ لكل عبد صحيفة كُتب فيها عمله، قال تعالى:﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فتسقط الصحيفة بيد صاحبها، فأهل الجنّة تأتيهم صحيفتهم بيدهم اليمنى، وأهل النّار تأتيهم بيدهم اليسرى، فيضع بعض الفجّار يدهم اليسرى خلف ظهورهم رغبة بأن يلتقطوا صحائفهم باليمين، فتأتيهم صحيفتهم خلف ظهورهم، قال ربنا المجيد: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأوا كِتَابِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾

الحساب

١٩٠ وأُحْضِرُوا للْعَرْضِ والحِسَابِ وَانْقَطَعَتْ عَلائِقُ الأَنْسَابِ
١٩٣ وَسَاوَتْ الْمُلُوكِ لِلأَجْنَادِ وَجِيءَ بِالكِتَابِ والأَشْهَادِ

بعد أن حشروا وأخذوا صحائفهم، يبدأ العرض على الله تعالى والحساب، قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

وحينها تحدث أهوال شديدة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الجِبَالُ سَيْرًا﴾

وفي ذلك اليوم تنقطع الأنساب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

وحينها يستوي الملك والعبد، والغني والفقير، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾

ويومها، كما في الحديث: (إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْنَ الْمُلُوكُ ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ فقال ﷺ مؤيدًا ذلك بقول ربنا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾)[١٠٦]

الشهود على العبد يوم الحساب

١٧٠ وَسَاوَتْ الْمُلُوكِ لِلأَجْنَادِ وَجِيءَ بِالكِتَابِ والأَشْهَادِ

في يوم القيامة يأت الله بالكتاب الذي كُتب فيه أعمال العبد، وجيء بالشّهود عليه، قال المجيد: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

الفرق بين الحساب والحساب اليسير

٢٣٣ والْعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسَابِ في النَّبَا وَمَنْ يُنَاقَشِ الْحِسَابَ عُذِّبَا

والحساب نوعان

حساب لأهل اليمين، وهو حساب يسير، إذ يُقررهم الله تعالى بأعمالهم فيُقرّون، فيغفر لهم فيدخلهم الجنّة.

وحساب لأهل الشمال، فهؤلاء يُنكرون معاصيهم فيُناقشون الحساب فلا يغفر الله لهم، بل يعاقبهم عليها.

---

[١٠٦] رواه البخاري (٧٥١٣) ومسلم (٢٧٨٦)

قال رسول الله ﷺ: (مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ) فقالت عائشة رضي الله عنها: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَ ﷺ: (إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ) (١٠٧) والعرض وضحه الرسول ﷺ فقال: (يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ) يعني يستره (فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ) [رواه البخاري ٦٠٧٠]
وفي رواية أخرى يقول (فإن لك مكان كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً) (١٠٨)

شهادة الجسد على صاحبه يوم القيامة

١٩٤ وَشَهِدَت الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ وَبَدَتِ السَّوْءَاتُ والْفَضَائِحُ

ذكرنا أن أصحاب اليمين يقرّرون بذنوبهم فيعترفون فيَغفر الله لهم، أما أصحاب الشّمال، وهم المجرمون، فإنهم يُنكرون ما عملوا، فتشهد عليهم الملائكة فينكرون، وتشهد عليهم الأرض، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ وقَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: (فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ

---

(١٠٧) رواه البخاري (٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦)

(١٠٨) رواه الترمذي (٢٥٩٦) وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الالباني

بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ عَمَلَ كَذَا كَذَا فِي يَوْمِ كَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارَهَا) [١٠٩] ثم ينكر شهادة كل من شهد عليه، فتشهد عليه أعضاء جسمه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال رسول الله ﷺ: إن هذا يخاطب ربه، فيقول: (يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا﴾ وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ:) يعني أعضاء جسده (فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ) [١١٠]

ظهور حقائق الأمور يوم القيامة

١٩٥ وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِـرْ وانكَشَفَ الْمَخْفِيُّ في الضَّمَائِرْ

(وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِـرْ) أي انكشفت الخفايا، وظهر في يوم القيامة ما كان يخفيه الشخص عن الناس، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي تعرض لاختبارها، أصالحةٌ هي أم فاسدة.

(وانكَشَفَ الْمَخْفِيُّ في الضَّمَائِرْ) وهي النّيات التي كان الشخص يخفيها في قلبه، يكشفها الله تعالى، فقد قال رسول الله ﷺ: (أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

[١٠٩] رواه الحاكم برقم ٣٠١٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي

[١١٠] رواه مسلم (٢٩٦٩)

نَزَلَ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ الَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ "، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١١١)

وبعض الخفايا يكشفها الله للناس، فيفضح فاعلها، قال رسول الله ﷺ: (إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ) يعني راية، أو عَلَم (فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ) (١١٢)

---

(١١١) رواه مسلم (١٩٠٥) وهذا اللفظ للحاكم (١٥٢٧)

(١١٢) رواه البخاري (١٣٨٦) و(٦١٧٧) ومسلم (١٧٣٥)

الاقتصاص للمظلوم يوم القيامة

١٩٢ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْقَيُّومِ وَاقْتَصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ

قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي خضعت لخالقها وذلت له.

ثم إن الله تعالى يقتص للمظلوم من ظالمه، أي يعيد له حقه، قال رسول الله ﷺ: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)[113]

ومن الحقوق ما يكون بإقامة الحد إذا لم يكن قد أقيم في الدنيا، كما قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا، يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ)[114]

ومن الحقوق ما تؤدى على شكل حسنات وسيئات، وهذا الأغلب، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)[115]

---

[113] رواه مسلم (٢٥٨٢)

[114] رواه مسلم (١٦٦٠)

[115] رواه مسلم (٢٥٨١)

وأول الأمور التي يقضي الله بها بين عباده: ما يتعلق بالقتل، قال رسول الله ﷺ: (أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ)[١١٦]

وهناك مُقاصّة ثانية تكون بعد اجتياز الصراط، وهي خاصة بين المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: (إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ)[١١٧] وقد قال بعض المفسرين إلى أن ذلك في الأمور اليسيرة بينهم فيعفون عن بعض.

العدل يوم القيامة

١٩٩ وَالْوَزْنُ بِالقِسْطِ فَلاَ ظُلْمَ وَلا ... يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلاَ

ينصب الله تعالى الميزان لِيَزِنَ به أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ وجمهور العلماء على أن الميزان واحد، وإنما قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ بالجمع، لتعدد ما يوزن فيه، فكلمة موازين تطلق أيضا على جمع كلمة وزن.

---

[١١٦] رواه البخاري (٦٥٣٣) ومسلم (١٦٧٨)

[١١٧] رواه البخاري (٢٤٤٠)

وهذه الموازين قسط، أي: عادلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ومن فضله على عباده أن يضاعف لهم حسناتهم، فقد قال: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ وفوق ذلك يزيد من عنده، فقد قال: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وأما السيئات فلا يعاقب عليها إلا بمثلها، فقد قال: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ بل قد لا يعاقب عليها، فقد قال: ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ وقد يحولها من سيئة إلى حسنة إذا أتى المذنب بهذا الشرط، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

إلا أن هناك أصنافا من الناس أرادوا الدنيا، فوفَّاهم الله أجورهم في الدنيا، ولم يبق لهم في الآخرة من خير، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ والكفر يُذهِب كل الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾

ومن عدل الله تعالى أن العبد لا يُحاسب إلا على عمله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ إلا من كان سببا في ضلال غيره فيحمل ذنبه ومثل ذنب الذين أضلهم، لأن ضلالهم كان نتيجة لأفعاله، فقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ وبالمقابل قال رسول الله

ﷺ: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) (١١٨)

أصناف الناس عند وزن الأعمال

٢٠٠ فَبَيْنَ نَاجٍ رَاجِح مِيْزَانُـــهُ ... وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُـــهُ

الناس عند وزن الأعمال ثلاثة أصناف، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ ويعني بالموازين هنا: كفّة الحسنات، فإن ثقلت ورجحت على كفّت السيئات؛ فهو في ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي في الجنة، قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾

وأما من خفَّت أعماله الصالحة، فرجَحَت كفت السيئات عليها، فهذا من أهل جهنّم، قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾

وأهل النار منهم من هو كافر يخلد فيها أبدا، ومنهم من كان مسلمًا، إلا أن سيئاته أكثر من حسناته فهذا يُخرجه الله تعالى من النار إما بشفاعة يأذن بها الله تعالى أو برحمة الله تعالى دون شفاعة أحد، قال رسول الله ﷺ: (حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ

---

(١١٨) رواه مسلم (١٨٩٣)

أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ المَلاَئِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ) [١١٩]

والصنف الثالث: هم من تساوت كفة حسناته وكفة سيئاته؛ فهؤلاء تحت مشيئة الله، ولا أعرف نصًا في أمرهم، وأما المشهور من كونهم هُم أصحاب الأعراف، يقفون بين الجنة والنار، حتى إذا شاء الله أدخلهم الجنة، فلا أعلم له مستندا قويًا [١٢٠]

الصراط

٢٠١ وَيَنْصِبُ الْجِسْرُ بِلاَ امْتِـرَاءِ ... كَمَـا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَنْبَـاءِ
٢٠٢ يَجُوزُهُ النَّـاسُ عَلَى أَحْـوَالِ ... بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنْ الأَعْمَـالِ
٢٠٣ فَبَـيْنَ مُجْتَـازٍ إلى الجِنَـانِ ... وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النـيرَانِ

قال رسول الله ﷺ: (يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ

---

[١١٩] رواه البخاري (٨٠٦)

[١٢٠] أرسل لي بعض الاخوة أثرا لابن مسعود فاحببت ذكره هنا خشية أن يلتبس مثل ذلك على القارئ، والأثر هو: «ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف» وهذا رواه ابن المبارك في الزهد من طريق أبي بكر الهُذَلي، قال عنه الدَّارَقُطْنِيّ: «منكر الحديث، متروك» (تهذيب التهذيب ج٤ ص٤٩٨). وجاء أثر عن حذيفة أيضا في كتاب الزهد (١٣٧٠) من طريق علي بن عاصم وهو راو ضعيف.

مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ) [١٢١]

فهذا الذي لا يسجد في الدنيا لله تعالى لن يستطيع أن يسجد في الآخرة، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

ومن لا يعرف أن لله تعالى صورة، وأن له ساق لا تشبه شيئًا من المخلوقين فكيف

---

[١٢١] رواه البخاري (٧٤٣٩) وعند مسلم بلفظ مقارب (١٨٣)

سيعرفه يوم القيامة.

ينصب الله جسرًا بين الأرض التي فيها الحساب، والجنة، وتحت هذا الجسر تكون جهنّم، قال ﷺ: (فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ)[١٢٢] وفي رواية قال واصفًا له: (مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ) يعني زَلِق، تزل فيه القدم، قال: (وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) يعني كل واحد يمر على الصراط بحسب عمله، منهم من يمر بسرعة ويصل سالِمًا، ومنهم من تخدشه الكلاليب والأشواك وينجو، ومنهم من تخطفه الكلاليب فيكدس -يعني: يُلقى - في جهنّم، نعوذ بالله منها ومن أهلها.

وبعد عبوره يُحبَسون في القنطرة كما قال الرسول ﷺ: (إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ)[١٢٣] وقد قال بعض المفسرون إلى أن ذلك في الأمور اليسيرة بينهم فيعفون عن بعض.

---

[١٢٢] رواه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢)

[١٢٣] رواه البخاري (٢٤٤٠)

الشفاعة الثانية

٢١١ وثَانِياً يَشْفَعُ في اسْتِفْتَـاحِ دَارِ النَّعِيمِ لأُولِي الْفَـلاحِ
٢١٢ هذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَـان قَدْ خَصَّتَا بِهِ بِلا نُكـرَان

بعد أن يعبر المؤمنون الصراط، ويقفون على القنطرة، وينتهون مما كان بينهم، قال رسول الله ﷺ: (فنأتي باب الجنة، فآخُذُ بحَلْقَةِ الباب، فأَقْرعُ الباب، فيقال: مَنْ أنت؟، فأقول: أنا محمد، فُيفْتَحُ لي)[١٢٤] وقال: (فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا)[١٢٥] فكل يعرف مسكنه الذي جعل الله له إذ كان يُعرض عليه في القبر.

وقال ﷺ: (يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ)[١٢٦]

الجنة والنار

٢٠٤ والنَّارُ والْجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَـا مَوْجُودَتَانِ لا فَنَاء لَهُمَـا

عرفنا أنه بعد الحساب يفترق الناس، منهم من يدخل الجنة، ومنهم من يدخل

---

[١٢٤] رواه أحمد (٢٥٤٦) و(٢٦٩٢)

[١٢٥] رواه البخاري (٢٤٤٠)

[١٢٦] رواه أحمد برقم (٧٩٣٣) والترمذي (٢٣٥٢)

النار، والجنة هي دار النعيم، والنّار هي دار العذاب، وهما باقيتان لا تفنيان، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾

قال رسول الله ﷺ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾)[١٢٧] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ وقال في شأن الكافرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ مع العلم أن الخلود يُطلَق على المكث الطويل، وعلى الديمومة اللانهائية، فإذا اقترن بكلمة "أبدًا" كما في الآيتين السابقتين؛ فهذا يدل على اللانهاية.

[١٢٧] رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩)

وصف النار

١٨١ والنَّارُ والجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ لا فَنَاء لَهُمَا

النار هي دار العقاب، وفيها دركات، يعني منازل، يعاقَب فيها أهل النار وفق ما يستحقون، قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَا بِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً وِفَاقًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ وجهنم كلما خفت نارها زادها الله اشتعالًا، فقال: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ وهواؤها السموم، وهو الهواء شديد الحر، وظلها هو الدخان الأسود، وشرابها الحميم، وهو الماء المغلي، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۝ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ وظلها لا ظليل فيخفف من الحر، ولا يمنع وصول اللهب، قال تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾

طعامهم فيها الزّقوم، قال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾

وبعض الدركات لا يأكلون فيها إلا الضّريع، وهو نبات شائك، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ ومن الدركات من لا

يأكل إلا الغِسلين، قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ وهو الصديد الذي يخرج من أهل النار.

وأخفُّ الناس عذابًا فيها كما قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ، عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ وَالقُمْقُمُ) [١٢٨] وأكبر الناس عذابا فيها المنافقين، وهُم الذين يُظهِرون الإسلام أمام الناس، ويُبطنون الكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾

ومن صنوف العذاب في جهنم: عذاب مانعي الزّكاة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾

ومن أنواع العذاب لمن تجبَّر واستكبر عن دعوة الرُّسُل: قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾

ومن أصناف العذاب أنهم يتمنون الموت، فلا يلقوه، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾

---

[١٢٨] رواه البخاري (٦٥٦٢) ومسلم (٢١٢)

ومن أصناف العذاب: إنهم إذا احترقت جلودُهم يبدلها الله بجلود جديدة ليزداد عذابُهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

ومن أصناف العذاب أن يُصب على رؤوسهم سائل حارٌّ يذيب لهم بطونهم وجلودَهم، قال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾

ومن صنوف العذاب: الحسرة والندامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾

ومن صنوف العذاب تباغضُهم وتخاصمهم، فيقولون -كما قال تعالى-: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾

ومن أصناف العذاب النفسي: إن أهل الجنّة يضحكون مِنهم، ويُسمِعونهم كلامًا فيه ذلٌّ ومهانة لهم، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فأسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنّة، ويقرَّ أعيننا بهذه اللحظة، جزاء على ما لقينا من أذى من

هؤلاء.

وصف الجنة

١٨١ والنَّارُ والجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ لا فَنَاء لَهُمَا

الجنة هي دار الثواب، ودار الرحمة، قال الله تعالى للجنة في الحديث القدسي: (أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي)[١٢٩] والجنة كلها خير ونعيم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

ويدخل أهل الجنة الجنة كما قال الله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ويُسَلم عليهم الملائكة ويثنون عليهم، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

والجنة درجات يدخلها الإنسان بحسب عمله، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ والدرجات العالية تسمّى الغرفات[١٣٠] قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ قال رسول

---

[١٢٩] رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦)

[١٣٠] قال ابن منظور: (والغُرْفة: العِلِّيّة، وَالجَمْعُ غُرُفَات وغُرَفَات وغُرْفَات وغُرَف.) لسان العرب ج٩ ص٢٦٤.

الله ﷺ: (أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ) (١٣١)

وأعلى الجِنان: الفردوس الأعلى، قال رسول الله ﷺ : (فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ) (١٣٢)

ومن نعيم الجنة تآلف قلوب أهلها، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾

ومن نعيم الجنّة طيب مسكنها، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وقال ﷺ: (لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ) (١٣٣)

ومن نعيم الجنّة طعامها الهنيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۝ فَاكِهِينَ

---

(١٣١) رواه البخاري (٣٠٨٣) ومسلم (٢٨٣١)

(١٣٢) رواه البخاري (٢٧٩٠)

(١٣٣) رواه أحمد (٨٠٣٠) وصححه أحمد شاكر

بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ وهؤلاء الغلمان هم خَدَمُ أهل الجنة، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾

ومن نعيمها الراحة النفسية، وديمومة الشّباب، قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ وقال رسول الله ﷺ: (مَنْ يَدْخُلْهَا يَخْلُدْ فِيهَا يَنْعَمُ لَا يَبْؤُسُ، لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ) [١٣٤]

وأعظم نعيمها أن أهلها يرون الله تعالى، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقال رسول الله ﷺ: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ) [١٣٥] اللَّهُمَّ اجعلنا منهم.

---

[١٣٤] رواه أحمد (٨٠٣٠) وصححه أحمد شاكر

[١٣٥] رواه مسلم (١٨١)

الشفاعة الثالثة

٢١٣ وثَالِثاً يَشْفَعُ في أقْوَامٍ — مَاتُوا عَلَى دينِ الهُدَى الإسْلامِ
٢١٤ وأوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ — فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإجْرَامِ
٢١٥ أنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إلى الْجِنَانِ — بِفَضلِ رَبِّ العَرْضِ ذِي الإحْسَانِ
٢١٦ وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَل — وَكُلُّ عَبْد ذِي صَلاحٍ وَوَلِي

هذه الشفاعة الثالثة من شفاعات نبينا الكريم ﷺ، أنه يشفع في أقوام من المسلمين، ماتوا موحدين، إلا أن معاصيهم طغت على حسناتهم، فأدخلهم الله نار جهنّم عقابًا لهم، وقد يكون بعضهم ارتكب من المعاصي والموبقات الشيء الكثير، حتى لم يبق في قلبه من الإيمان إلا ذرة.

وهذه الشّفاعة تكون بعد دخول أهل الجنة الجنة.

قال رسول الله ﷺ (فنأتي باب الجنة، فآخُذُ بحَلْقَةِ الباب، فأَقْرعُ الباب، فيقال: مَنْ أنت؟، فأقول: أنا محمد، فَيُفْتَحُ لِي، فآتي وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ أَحَدٌ بِهَا قَبْلِي، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي فَيُقَالُ لِيَ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَشْفَعُ فَيُقَالُ: أَخْرِجْ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ كَذَا وَكَذَا) [١٣٦]

---

[١٣٦] رواه أحمد (٢٦٩٣) وصححه أحمد شاكر

وفي رواية: (انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فيقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ) [١٣٧]

شفاعة المؤمنين لبعضهم

بعد أن ذكرنا شفاعة النبي محمد ﷺ، فإن المؤمنين يشفعون لبعضهم، قال رسول الله ﷺ: (حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ) [١٣٨] وكذلك فإن الملائكة يشفعون لعصاة المؤمنين، كما قال رسول الله ﷺ:

---

[١٣٧] رواه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣)

[١٣٨] رواه مسلم (١٨٣) ومثله عند البخاري (٤٤)

(فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ) [١٣٩]

إخراج الموحدين من النار

٢١٧ وَيُخْرِجُ الله مِنَ النِّيـــرَانِ جَمِيـعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإيمَـانِ
٢١٨ فِي نَهرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَـــا فَحْمَـاً فَيَحْيَـوْنَ وَيَنْبِتُـونَــا
٢١٩ كَأَنَّمَـا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِــهِ حَبُّ حَمِيلِ السِّيْلِ في حَافَاتِهِ

ثم تكون رحمة الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: (يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ

---

[١٣٩] رواه مسلم (١٨٣)

مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) [١٤٠]

وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي وَأَنْتَ المَلِكُ) [غير مستوعبٍ لما يسمع] قال الراوي: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: (ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً) [١٤١]

---

[١٤٠] رواه مسلم (١٨٣)

[١٤١] رواه البخاري (٦٥٧١) ومسلم (١٨٦)

ركن الإيمان السادس: الإيمان بالقدر

٢٢٠ والسَّادِسُ الإيمَانُ بِالأقْدَارِ فَأيْقِنَنْ بِهَا ولا تُمَارِ
٢٢١ فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ والكُلُّ في أُمِّ الكِتَابِ مُسْتَطَرْ

الركن السادس من أركان الإيمان هو الإيمان بالقدر، فنؤمن بأمور أربعة:

الأول: أن الله تعالى علِم كل شيء كان وسيكون، قال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

الثاني: أن الله كتب ما سيكون إلى قيام السّاعة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) [١٤٢]

الثالث: أن الله شاء ما سيكون، مشيئة كونيّة، أي أن ما حدث وسيحدث هو بمشيئة الله له أن يحدث، حتى لو لم يُحبّه الله، إلا انّه شاء حدوثه لحكمته في تسيير السنن الكونيّة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ وقال: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً* إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وهذه تختلف عن إرادته الشرعية،

---

[١٤٢] رواه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥) والحاكم (٣٨٤٠) وقال الذهبي: على شرط الشيخين

وهي الأمور التي يحبّها ويأمر بها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

الرابع: الخلق، وهو أن الله خلق كل شيء علمه وكتبه وشاءه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

والله تعالى يقدِّر للإنسان ما يستحقّه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ قال بعض الصحابة: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: (اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ) [١٤٣]

أمور تنافي الإيمان بالقدر

٢٢٢	لا نَوْءَ لا عَدْوَى ولا طِيَرَ وَلا	عَمَّا قَضَى اللهُ تَعَـالى حِوَلاَ
٢٢٣	لاَ غَوْلَ لاَ هَامَةَ لاَ ولا صَفَرْ	كَمَا بِذَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الْبَشَـرْ

ذكرنا أن الأمور تكون بتقدير الله تبارك وتعالى، فلا يوجد تأثير للنجوم والأنواء (التي هي مجموعات نجمية)، والأبراج، كل ذلك لا يؤثر في حياة الخلق، ولا تسبب السعادة ولا التعاسة. كذلك ما يفعله بعض الناس من تطيِيْر طير فإذا طار إلى

---

[١٤٣] رواه البخاري (٤٩٤٩) ومسلم (٢٦٤٧)

اليمين تفاءلوا، وإذا طار إلى الشمال تشاءموا، كل ذلك ليس له تأثير في حياتنا وشؤوننا فكل أمورنا قدرها الله، وكذلك لا صحّة لاعتقاد البعض أن من مات فقد أماته الغول، أو الهامة (وهي البومة) أتته بالموت، أو الصَّفَر (وهو دود البطن) او العدوى، بل إن ذلك يكون بتقدير الله، وقد يجعل الله للموت أسبّابًا حسّية، كالحادث، والمرض، والقتل، إلا أن ذلك بقدر الله، قال ﷺ: (لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ) (١٤٤) وفي رواية: (لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا غُولَ) (١٤٥)

وكذلك كلُّ ما يعتقد فيه النّاس أنه يجلب الحظ، كحذوه الحصان، أو يعتقدون أنه يجلب النحس، كالغراب، والبوم، أو يعتقدون أنه يدفع الشر، كالخرز الأزرق، أو الدق على الخشب، فكل ذلك من الموروثات الوثنية التي نُهينا عنها.

ثالث مراتب الدين: الإحسان

٢٢٤ وثَالِـــثُ مَرْتَبَــةُ الإحْسَــانِ وَتِلكَ أعْلاَهَا لَـدَى الرَّحْمَـنِ
٢٢٥ وَهُوَ رُسُوخُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّى يَكُونَ الْغَيْبُ كَالْعَيَـانِ

تكلمنا عن مراتب الدين، وذكرنا الأولى، وهي الإسلام، والثانية، وهي الإيمان، والآن المرتبة الثالثة، وهي الإحسان، وهي المرتبة الأعلى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

(١٤٤) رواه البخاري (٥٧٠٧)

(١٤٥) رواها مسلم (٢٢٢٢)

الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

والإحسان كما قال رسول الله ﷺ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) [١٤٦] فهذه درجة عالية من اليقين بالله تعالى، وكأنه يرى الله أمامه، ويستشعر ذلك في كل عمله، فإذا عمل عملًا يعمله وكأنه يرى الله أمامه. فإن لم يبلغ هذه المنزلة، لإن الواقع أنه لا يرى اللهَ في الدنيا، فإن الله يراه فعلًا، فعليه أن يستشعر هذه المراقبة من الله له.



[١٤٦] رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨)

فصل
في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك
إلا إذا استحله وأنه تحت المشيئة، وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر.

زيادة الإيمان ونقصانه

٢٢٦ إِيْمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَـاتِ وَنَقْصُـهُ يَكُـونُ بَالـزلاَّتِ
٢٢٧ وَأَهْلُـهُ فيهِ عَلَى تَفَاضُـلِ هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلاكِ أَوْ كَالرُّسُلِ

الإيمان قول وعمل واعتقاد، أقل أحواله أن يعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقولها، ويصلي. ويزيد هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فيزدادون إيمانا بسماعها، وبتلاوتها، وبالتزام ما فيها من أوامر، ونواهي.

وكما أن الإيمان يزيد بالطاعات، فإنه ينقص بالمعاصي، وقد ينقص حتى لا يبقى منه إلا ذرّة.

الفاسق المسلم

٢٢٨ وَالْفَاسِـقُ الْمِـلِّيِّ ذُو الْعِصْيَانِ لَمْ يُنْفَ عَنهُ مُطلَقُ الإيمَانِ

٢٢٩ لَـكنْ بقَدْرِ الْفِسْقِ والْمَعَاصِي إيْمَانُـهُ مَا زالَ في انْتِقَـاصِ

الفاسق الملي، وهو الفاسق الذي لم يقع في الكفر: أي الذي فسق عن أمر الله بارتكاب الآثام والمعاصي، وترك الأوامر، وهو مليّ، بمعنى أنّه لم يفارق ملّة المسلمين، لأن فسوقه كان بارتكاب غير الأمور المكفِّرة، فهذا لا ننفي عنه مطلق الإيمان، فلا نقول إن إيمانه انعدم تمامًا، لكن بقدر معاصيه ينقص إيمانه، ولا ينتفي الإيمان بشكل كامل إلا إذا وقع بالكفر.

عدم خلود الموحدين في النار

٢٣٠ ولاَ نَقُـولُ إنَّـهُ في النَّـــارِ مُخَلَّـدٌ، بَـلْ أمْـرُهُ للْـبَـــارِي

٢٣١ تَحْتَ مَشِيئَةِ الإلهِ النَّافِـذَةْ إنْ شَا عَفَا عَنْهُ وإنْ شَا آخَـذَهْ

٢٣٢ بِقَـدْرِ ذَنْبِـهِ، إلى الجِنَـانِ يُخْرَجُ إنْ مَـاتَ عَلَى الإيْمَـانِ

الفاسق الذي مات وهو مسلم لا نقول إنه يخلد في جهنّم كما قالت المعتزلة، وبعض الخوارج، بل نقول إنّ أمره لله، وهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه بقدر ذنوبه، ثم يُخرِجُه من النّار، كما بينّا سابقًا.

لا نكفّر مسلمًا بمعصية

٢٣٤ ولا تُكَفِّرْ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنَاً ... إلا مَعَ اسْتِحْـلاَلِـهِ لماَ جَنَـى
٢٣٥ وَتُقْبَلُ التَّوْبَة قَبْلَ الغَرْغَـرَة ... كَمَا أَتَى في الشَّرْعَةِ الْمُطَهَّــرَة
٢٣٦ أمَّا مَتَى تُغلَقُ عَنْ طَالِبِهَـا؟ ... فَبطلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَـا

نحن نفرّق بين العاصي والكافر، فالمسلم الموحّد لا نصفه بالكفر مهما ارتكب من المعاصي والفجور، إلا إذا ارتكب معصية جاء الدليل على أنّها كفر، مثل سبِّ الله أو رسولِهِ أو دينِه، أو الاستهزاء بهم، أو السجود للأصنام، أو دعاء غير الله، أو قال إن حكم غير الله خير من حكم الله، فهذه مكفّرات من فعلها فهو كافر، أما المعاصي التي لم يدل الدليل على أنّها كفر فلا نكفّر فاعلها، كالسرقة، والزنى، والقتل، وشرب الخمر، وكشف العورة، وعقوق الوالدين، فهذه لا يكفر فاعلها. لكن إن استحلّها وقال إنها حلال، فهذا قد كذَّب اللّهَ تعالى، فهو كافر. ويستثنى من ذلك الأحكام التي ليس فيها نص في الكتاب والسنّة، أو إجماع، واختلف فيها أئمة السَلَف، ممن كان لقولهم دليل واعتبار، كالخلاف في جواز أكل لحم الضبع، أو المسائل التي لم تظهر في زمان السلف، وليس فيها نص صريح، كالتصوير الفوتوغرافي، فهذه التي تسمى مسائل اجتهادية، يُعذر فيها المخالف.



فصل

في معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه الرسالة

وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبيين،

وسيد ولد آدم أجمعين، وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب

نسب محمد ﷺ ومولده

٢٣٧ نَبُّيِنَـا مُحَمَّـدٌ مِنْ هَاشِـمٍ   إلى الذَّبِيحِ دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي

نبينا هو محمد ﷺ بن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غالب بن فهر بن مالك بن النضر بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ أُدَدَ بْنِ مُقَوِّمِ بْنِ نَاحُورَ بْنِ تَيْرَحَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ابن آزر، واسمه تارح بن ناحور بن ساروح بن راعو بْنِ فَالَخَ بْنِ عَيْبَرَ بْنِ شَالِخَ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ بن لامك بْنِ مَتُّوشَلَخَ بْنِ خَنُوخَ، وَهُوَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السلام، بن يَرْدَ بْنِ مِهْلِيلَ بْنِ قَيْنَنَ بْنِ يَانِشَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ [١٤٧]

[١٤٧] اختاره الذهبي في تاريخ الإسلام ج١ ص٤٨٠ وقال انه قول أئمة الشأن.

وأمّه: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

وهو هاشمي نسبة إلى بني هاشم وهم فرع من قبيلة قريش. وانتسابه إلى الذبيح، أي إلى إسماعيل بن إبراهيم لا شك فيه. إلا أن هناك خلاف بين السّلف، هل كان الذبيح إسماعيل أم إسحاق، والراجح أنّه إسماعيل.

مولد رسول الله ﷺ ونشأته

٢٣٩ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ الْمُطَهَّـرَةْ هجْرَتُهُ لِطَيْبَةَ الْمُنَـوَّرَةْ

ولد رسول الله ﷺ في مكة عام الفيل، وهو العام الذي قدِم فيه المشرك ابرهة الحبشي إلى مكة على فيل لهدم الكعبة، فمنعه الله. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾

وولد ﷺ ثم مات أبوه وهو في عامه الأول، وقيل إنه مات وأم الرسول ﷺ حامل به.

أرضعته جارية اسمها ثويبة، ورضع معه عمه حمزة وأبو سلمة المخزومي، ثم أرضعته حليمة السعدية.

ماتت أمه وعمره ست سنين، فكفله بعدها جدّه عبد المطّلب، أبو أبيه، ثم توفى بعد عامين، فكفِله عمّه أبو طالب أبو علي أمير المؤمنين.

وعمل ﷺ في رعي الغنم، ثم في رحل مع عمه للتجارة في الشام وكان فتيًّا. ثم في العشرينات من عمره كلّفته خديجة بنت خويلد -وكانت من الأثرياء- بأن يتاجر لها في مالها، فلمّا رأت أمانته أعجبت به وطلبت منه الزواج فتزوجها.

حياة رسول الله ﷺ بعد البعثة وقبل الهجرة

٢٣٩	مَـوْلِـدُهُ بِمَكَّـةَ الْمُـطَـهَّـــرَةْ	هِجْـرَتُـهُ لِطَيْبَـةَ الْمُنَــوَّرَةْ
٢٤٠	بَعْـدَ ارْبَعِـينَ بَـدَأَ الْـوَحْيُ بِـهِ	ثُمَّ دَعَـا إلى سَبِيـلِ رَبِّــهِ
٢٤١	عَشرَ سِنِينَ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا	رَبّاً تَعَـالى شَأْنُـهُ وَوَحِّـدُوا
٢٤٢	وَكَـانَ قَبْلَ ذَاكَ في غَـارِ حِـرَا	يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الوَرَى

ولد رسول الله ﷺ في مكة المكرّمة، وعاش فيها إلى الثالثة والخمسين من عمره. وفي سن التاسعة والثلاثين بدأ يجلس في غار في مكة اسمه غارُ حِراء، يتفكر في آيات الله، وحين بلغ سنَّ الأربعين جاءه جبريل فأنزل عليه قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فكان بذلك نبيًّا، ثم أنزل الله تعالى عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فبدأ بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وهجر الرُّجز، وهم الأصنام.

بدأ بالدعوة سرًا بين من يثق بهم من أصحابه، لثلاث سنين، ثم أمره الله بالإعلان فقال له ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ فأعلن الدعوة، فآذى المشركون أصحابَه

ليردوهم عن دينهم فما استطاعوا.

بعد نبوته بسبع سنين تعاهدت قريش على مقاطعته هو وأقرباءه من بني هاشم، فلا يكلموهم، ولا يبيعوهم، ولا يشتروا منهم، ولا يزوجوهم، فاضطروا للبقاء في شِعب أبي طالب، وهي منطقة بين جبلين، مكثوا فيها ثلاثَ سنين يعانون الجوع. وكان الكافرون قد كتبوا هذا العهد على قطيعة بني هاشم على صحيفة، وعلقوها في الكعبة، فبعد ثلاث سنين من الحصار أرسل الله حشرة أكلت هذه الصحيف، إلا ذكر الله عز وجل، وأنبأ اللهُ رسوله بذلك، فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى أهل مكة فأخبرهم أن ابن أخيه قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن ظلمنا، قالوا: أنصفت، فأنزلوا الصحيفة فلما رأوا الأمر كما أخبر النبي ﷺ، فأنهوا الحِصار.

رسالة الرسول محمد ﷺ

٢٣٨ أَرْسَلَهُ الله إليْنَا مُرْشِــدَا وَرَحْمَةً للعَالَمِينَ وَهُـدَى

أرسله الله تعالى إلينا مرشدًا، يرشدنا ويدلنا على طريق الحق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهو رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ فهو رحمةٌ من الله للناس، يبلغهم رسالة الله ويدلهم على ما يُنجيهم في الدنيا والآخرة، فمن أطاعه نجا، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الاسراء والمعراج

٢٤٣ وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الأعْـوَامِ مَضَتْ لعُمْـرِ سَيِّـدِ الأنَـامِ

٢٤٤ أسْرَى بِهِ الله إليهِ في الظُّلَمْ وَفَرَضَ الخَمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَمْ

بعد مضي عشر سنين على نبوته، وكان عمره يومها خمسين سنة، أسرى به الله إلى المسجد الأقصى، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ ثم عُرِجَ به إلى السماء، قال رسول الله ﷺ: (فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ،

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ: لِخَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ،

فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى

حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنِهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ: فَفَتَحَ،

قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ،

قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ،

ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى،

ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى،

ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ:

هَذَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ [١٤٨]، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ، كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ،

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي،

ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ) [١٤٩]

---

[١٤٨] محمد بن عمرو بن حزم، غير الإمام الأندلسي صاحب المحلى.

[١٤٩] رواه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٢)

الهجرة إلى يثرب

٢٤٥ وَبَعْدَ أعْوَامٍ ثَلاثَةٍ مَضَـتْ مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وانقَضَتْ
٢٤٦ أُوذِنَ بِالْهِجْـرَةِ نَحْـوَ يَـثْرِبَا مَعَ كُـلِّ مُسْلِـمٍ لَهُ قَـدْ صَحِبَـا

جاء بعض أهل المدينة -ومن أسمائها: يثرب- إلى الحج، وكانوا يحجون في الجاهليّة، فقابلهم رسول الله ﷺ وعرض عليهم الإسلام فعلموا أنه صادق، لأنهم كانوا يسمعون من اليهود أن نبيًا سيبعثه الله في هذا الزمان، فأسلموا، ولما رجعوا دعَوْا قومهم إليه فأسلموا معهم، وعاهدوا الرسول ﷺ على مناصرته، أما اليهود الذين كانوا يسكنون في المدينة وعلى أطرافها فلم يسلموا، لأنهم لم يعجبهم أن النبي من العرب.

أخبر رسول الله ﷺ أصحابه أن يهاجروا إلى المدينة، ولما أذنَ الله له بالهجرة؛ هاجر بصحبة أبي بكر الصديق.

فلما وصل إليها أسس هناك مسجدًا، وهو مسجد قباء، ثم أسس المسجد النبوي. وآخى بين المهاجرين والأنصار، والمهاجرون هم أهل مكة لأنهم هاجروا، والأنصار هم أهل المدينة لأنهم ناصروهم، فجعل لكل شخص من المهاجرين أخًا من الأنصار يؤويه ويعينه.

قتال المشركين

٢٤٧ وَبَعْدَهَا كُلِّـفَ بِالقِتَـالِ لِشيعَة الْكُفْرَانِ والضَّـلاَلِ
٢٤٨ حتى أتَوْا للدِّينِ مُنْقَادِينَا وَدَخلُوا في السِّلْمِ مُذْعِنِينَا

وعندما استقرَّ ﷺ في المدينة وأسس دولة الإسلام؛ كلفه الله تعالى بقتال شيعة الكفر، أي أنصار الكفر، يعني الكفار، ولم يكن قتالهم مسموحًا قبل الهجرة، وهذا من حكمة الله تعالى البالغة، إذ ليس من الصحيح أن يقاتلوا المشركين في مكة، فيعطوا الكفّار مبررًا لقتلهم، واستئصالهم، إذا كان المسلمون قلَّة، أما في المدينة فقد صار عندهم دولة، وجيش وقوّة، فقال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ فأذِن لهم الله تعالى بقتال من ظلمهم واعتدى عليهم وأخرجهم من ديارهم. ثم أمر اللّهُ بعد ذلك بقتال الكفار عامّة، وذلك بعد أن يُدعَون إلى الإسلام، أو تسليم الأرض لحكم الإسلام، فقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وذلك لتوحيد الأرض تحت حكم الله تعالى، فيدخل الجميع تحت مظلة حكم الله، مسلمين كانوا، أو أهل كتاب يدفعون الجزية.

موت الرسول ﷺ

٢٤٩ وَبَعْدَ أنْ قَدْ بَلَّـغَ الرِسَالَـةْ وَاسْتَنقَذَ الخَلْقَ مِنَ الجَهَالَةْ
٢٥٠ وأكْمَلَ الله بِـهِ الإسْلاَمَـا وقَام دِينُ الحَـقِّ وَاسْتَقَامَـا
٢٥١ قَبَضَهُ الله العَلِيُّ الأعْلَـى سُبْحَانَهُ إلى الرَّفِيـقِ الأعْلَى

عاش رسول الله ﷺ عمره مبلغًا لدين الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فبلَّغ النّاسَ وحيَ الله، وهو الكتاب والسنّة، وفسَّر القرآن كاملًا وبيَّنه بقولِه وعَمَلِه، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ فأثبت اللهُ الحقَّ بوحيه، وبيّنه نبيُّه الكريم، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وقال رسول الله ﷺ: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ) [١٥٠]

فبعد أن تم الدين، وبلَّغ رسول الله رسالتَه؛ قبضه الله إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾

---

[١٥٠] رواه أحمد (١٧١٤٢) واسناده صحيح

نبوة محمد ﷺ وتبليغه الرسالة

٢٥٢ نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلاَ ارْتِيَابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ
٢٥٣ وأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلاَ ... بِهِ وَكُلَّ مَا إليْهِ أُنْزِلاَ

نشهد لمحمدٍ ﷺ أنه رسول الله تعالى، أرسله الله تعالى ليبلغ وحيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أرسله الله تعالى إلى الناس كافة، عربهم وعجمهم، وإنسهم وجنّهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فنؤمن بهذا، ونؤمن كذلك أنه بلّغ ما أوحى الله إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

لا نبي بعد محمد ﷺ

٢٥٤ وكُلُّ مَنْ مِن بَعْدِهِ قَدِ ادَّعى ... نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى
٢٥٥ فَهْوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاقِ ... وأفضَلُ الْخَلْقِ عَلى الإطلاَقِ

نؤمن أن محمدًا ﷺ هو خِاتم النبيين، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا

أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وقرأها القراء العشرة سوى عاصم: ﴿وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ وقال رسول الله ﷺ: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ)[١٥١] فكل من ادّعى النّبوّة بعده فهو كاذب كافر، ومن صدّقه فهو كافر مثله، لأنه اتَّبَع الباطل، وكذَّبَ اللهَ ورسوله، ومن أشهر هؤلاء الكذبة الذين ادَّعوا النبوَّة: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والغلام أحمد القادياني مؤسس الأحمدي أو القاديانية، وحسين النوري مؤسس البهائية، وناناك مؤسس السيخية، وحمزة الزوزني مؤسس الدرزية، وناصر اليماني الذي ادّعى المهدوية، وادّعى ان الله يوحي إليه، ويوسف سميث مؤسس المورمونيَّة، وغيرهم، فهؤلاء زنادقة مشركون، وأتباعُهم مثلُهم، لا يشك مسلمٌ في ذلك.

* * *

[١٥١] رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢)

فصل

فيمن هو أفضل الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم

وذكر الصحابة بمحاسنهم والكف عن مساوئِهم وما شجر بينهم

أبو بكر الصديق

٢٥٦ وَبَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ الشَّفِيقُ ... نِعْمَ نَقِيبُ الأُمَّةِ الصِّدِّيقُ
٢٥٧ ذَاكَ رَفِيقُ الْمُصْطَفَى فِي الْغَارِ ... شَيْخُ الْمُهاجرينَ والأَنْصَارِ
٢٥٨ وهُوَ الّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى ... جِهَادَ مَنْ عَنِ الْهُدَى تَولَّى

بعد وفاة النبي ﷺ تولى أمر المسلمين الخليفة الراشد عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي، أبو بكر الصّديق، رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ)[١٥٢] وقال ﷺ: (اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ)[١٥٣]

وذكر الله تعالى أبا بكر في كتابه فقال عن رسول الله ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وصاحبه هو أبو بكر رضي الله عنه، إذ صاحبه في هجرته من

---

[١٥٢] رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢)

[١٥٣] رواه الترمذي (٣٨٠٥) وابن ماجه (٩٧) وأحمد (٢٣٢٤٥) وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط

مكة إلى المدينة، فدخلا غار ثور للتخفي من المشركين الذين كانوا حولهما، يريدون قتلهما.

وأبو بكر هو أفضل الأمة بعد نبيها محمد ﷺ.

فحين مات رسول الله ﷺ؛ بايع الصّحابة أبا بكر ليكون خليفةً لرسول الله ﷺ في إمامة المسلمين وتولي أمورهم. وكان له الفضل في قتال أهل الرّدة، إذ أنّ قبائل من العرب ارتدّت عن دينها بعد موت النبي ﷺ، فقاتلهم وأعاد التوحيد إلى جزيرة العرب.

توفي بعد توليه الخلافة بسنتين وأربعة أشهر، وكان له ثلاث وستين سنة من العمر.

عمر بن الخطاب

٢٥٩ ثَانِيـه في الفَضْـلِ بِلاَ ارْتيـاب الصَّـادِعُ النَّـاطِـقُ بِالصَّـوَابِ

٢٦٠ أعني بِهِ الشَّهْمَ أبَا حَفْص عُمَرْ مَنْ ظَاهَرَ الدِّينَ الْقَويمَ ونصَرْ

٢٦١ الصَـارِمُ الْمُنـكِي عَـلَى الكُفَّـار وَمُوسِـعُ الْفُتُوحَ في الأمْصَـارِ

الثاني في الفضل بعد الصِّدّيق رضي الله عنه، هو أمير المؤمنين، والخليفة الراشد الثاني، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قُرْطِ بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أبو حفص القرشي العدوي، الملقب بالفاروق رضي الله عنه.

وأمه حنتمة بنت هشام المخزومية، وهي أخت أبي جهل بن هشام.

أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة. قال ابن مسعود: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر) [١٥٤]

تسلَّم الخلافة بعد موت الصديق أبا بكر بوصيَّة من أبي بكر.

فتح الله على يده الشام كله، وفارس، والجزيرة العربية ومصر والعراق كله.

استُشهد في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وله من العمر ستون سنة، إثر طعنة طعنه إياها مجوسي خبيث تسلل إلى المسجد فطعنه فيه وهو قائم يصلي العشاء إماما بالمسلمين. فلما وضعوه على فراشه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أُكَثِّرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأَظُنُّ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا) [١٥٥]

---

[١٥٤] رواه البخاري (٣٦٨٤)

[١٥٥] رواه البخاري (٣٦٧٧) ومسلم (٢٣٨٩)

عثمان بن عفان

٢٦٢ ثَالِثُهُمْ عُثمانُ ذُو النُّورَيْـنِ ذو الحِلْـمِ والحَيَا بِغَـيْرِ مَـيْنِ
٢٦٣ بَحْرُ الْعلُومِ جَامِعُ الْقُـرْآنِ مِنْهُ اسْتَحَتْ مَلائِكُ الرَّحْمَنِ
٢٦٤ بَايَعَ عَنْهُ سَيِّـدُ الأَكْـوَانِ بِكَفِّهِ فِي بَيْعَةِ الرِّضْـوَانِ

وثالث أتباع الرسول ﷺ بالأفضلية هو الخليفة الراشد الثالث الشهيد عثمان بن عفان بنِ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شمس، أمير المؤمنين، أبو عمرو، وأبو عبد الله، القرشي الأموي رضي الله عنه.

دخل عثمان مرة إلى المسجد فقال رسول الله ﷺ: (أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ) (١٥٦)

(بَايَعَ عَنْهُ سَيِّـدُ الأَكْـوَانِ) وذلك في يوم الحُديبية، في بيعة الرضوان، إذ أرسل رسول الله ﷺ عثمان إلى أهل مكة ليحاورهم، فأخَّروه، فجاء إلى المسلمين خبرًا أن اهل مكة قتلوه، فأخذ الرسول ﷺ البيعة من المسلمين لقتال أهل مكة، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ اليُمْنَى: (هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ) فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: (هَذِهِ لِعُثْمَانَ) (١٥٧)

وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان، لأن الله تعالى رضي عن أصحابها، إذ قال: ﴿لَقَدْ

---

(١٥٦) رواه مسلم (٢٤٠١)

(١٥٧) رواه البخاري (٣٦٩٨)

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة بعد مقتل الإمام عمر الفاروق رضي الله عنه، وبقي في الخلافة نحو اثنا عشر عاما.

وكان له الفضل بتوفيق الله في كتابة المصحف، فكتب سبع مصاحف أو ستة، وأرسلها إلى بلاد الإسلام، وأمرهم بحرق ما كتبوه خشية أن يكون فيما كتبوه خلل، أو قراءات منسوخة، او بعض الكلام في التفسير مما قد يختلط على القارئ فيظنه من القرآن.

وفتح الله على يديه إفريقيّا، وقبرص، وأرمينا، وبنغلاديش.

وقد حصلت في زمانه فتنة الخوارج الأولى على يدي عبد الله بن سبأ الزنديق، حيث حرَّض الناس عليه، فجاؤوا من العراق يريدون الفتنة، حتى وصلوا إلى بيته فقتلوه، وهو يقرأ القرآن، وكان ابن اثنتين وثمانين سنة.

علي بن أبي طالب

٢٦٥ والرَّابِعُ ابْنُ عَمِّ خَيْرِ الرُّسُلِ — أعْنِي الإمَامَ الْحَقَّ ذا الْقَدْرِ الْعَلي

٢٦٦ مُبِيدُ كُلِّ خَارِجيٍّ مَارِقِ — وَكُلِّ خِبٍّ رافِضِي فَاسِقِ

٢٦٧ مَن كَانَ للرَّسُولِ في مَكَانِ — هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِلاَ نُكْرَانِ

٢٦٨ لاَ فِي نُبوَّةٍ فَقَدْ قَدمْتَ مَـا يَـكْفِي لِمَنْ مِنْ سُوْءِ ظَنٍّ سَلِمَا

رابع أتباع النبي ﷺ بالفضل هو الخليفة الرابع، أمير المؤمنين، الشهيد عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، أمير المؤمنين، أبو الحسن القرشي الهاشمي، القارئ، المحدِّث، العالم، المجاهد، أسد الحروب. ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته الطاهرة فاطمة الزهراء.

تعود إليه أسانيد أشهر رواية من روايات [١٥٨] القرآن الكريم، وهي رواية حفص عن عاصم التي يقرأ بها أهل الجزير العربية، ومصر، والشام، وتركيا، وسائر دول آسيا.

قال له رسول الله ﷺ: (أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي) [١٥٩]

اختاره الناس أميرا للمؤمنين بعد مقتل عثمان، وحصلت في عهده فتن كثيرة بسبب الخوارج، فقد كان يريد تأجيل إقامة الحد على الذين قتلوا عثمان حتى تستقر أوضاع البلاد، وذلك لكثرة عددهم، وقوتهم، فأراد أن تهدأ الأوضاع ويتفرقوا،

---

[١٥٨] والقرآن الكريم يقرأه الناس على شيوخهم، وكل شيخ يقرأه على شيخه، حتى نصل إلى كبار القُرَّاءِ في القرنِ الثالث، الذين اشتهروا بتعليم القرآن، مثل شعبة، وحفص، وورش، والليث.. الخ، فهؤلاء كانوا يعلمون الناس القراءة فيقال: «رواية فلان» مثلا: «رواية الليث» وشيوخهم مثل عاصم، ونافع والكسائي...الخ كان يُقال لِمَا يُقرِؤونه للناس: «قراءة فلان» وهؤلاء القراء قرأوها على شيوخهم، وشيوخهم قرأوا القرآن على أصحاب النبي ﷺ.

[١٥٩] رواه البخاري (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤)

ويعود أهل البلاد الأخرى إلى بلادهم فيتمكن منهم. بينما عدد من الصحابة منهم طلحة والزبير ومعاوية أبوا أن يبايعوه إلا بشرط إقامة الحد على الخوارج، فجمع بعض الصحابة جيشًا لقتال قَتَلة عثمان، فأتوا بهم من مكة إلى المدينة، وكانت معهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، خرج عليٌّ إليهم لمنعهم من ذلك وبيان رأيه لهم، فحصلت فتنة ببين جيشهم وجيش علي، إذ أن بعض الخوارج كانوا مع جيش علي فرموا السهام لقتل عائشة، فهجم عليهم جيش طلحة والزبير الذي جاء من مكة، فاقتتل الجيشان.

وكان معاوية هو أمير الشام، فسار عليٌّ إلى معاوية، وكانا يتحاوران حتى يصلا إلى اتفاق، فاغتال الخوارج جنودا من الجيشين، فظن كل جيش أن الجيش الآخر غدر به، فتقاتلوا أيَّامًا، حتى اتفقوا على تحكيم كتاب الله بينهم، واتفقوا ضد الخوارج، فانحاز الخوارج عنهم، وقالوا إن عليًّا ومعاوية وجيشيهما كفار، فقاتل علي رضي الله الخوارج ونكّل بهم.

وفي سنة أربعين شخص اسمه عبد الرحمن بن ملجم، وقد كان سابقًا من التابعين العبّاد المرضيين، إلا أن الخوارج فتنوه وأفسدوا دينه فصار معهم وتكفّل المخذول بقتل عليٍّ رضي الله عنه، وساعَدَه شخص اسمه شَبِيْبُ بن بَجَرَة الأشجَعي [١٦٠]،

---

[١٦٠] هو غير المخذول الثاني الذي خرج في خلافة مروان، أعني شبيب بن يزيد الشيباني ت٨٠هـ فقد خرج وكان له شأن، وقتل في المسلمين مقتلة كبيرة. وهو زوج غَزَالة التي بسببه وسبها قيل للحجَّاج الأبيات المشهورة:

=

فتربصا له في وقت الفجر، وكان -عليه السلام- يوقظ الناس إلى صلاة الفجر، فباغته شبيب، فضربه بالسيف ولم يقتله، ثم ضربه ابن ملجم بالسيف على رأسه فقتله. فكان الخوارج يرون أن هذا المخذول الذي قتل أمير المؤمنين خير الخلق عندهم، فمذهب الخوارج يمسخ القلوب، ويفسد العقول.

فقال أحد الخوارج يمدح قاتل علي:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيَ مَا أَرَادَ بِهَا * * * إلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوَانا

إنِّي لأَذْكُـرُهُ يَوْمـاً فَأَحْسَبُـهُ * * * أَوْفَى الـبَرِيَّـةِ عِنْـدَ اللهِ مِـيزَانـا

فرد عليه بعض اهل السنّة بقوله:

بَلْ ضَرَبْةٌ مِنْ شَقِيَ مَا أَرَادَ بِهَا * * * إلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ خُسْرَانا

إني لأَذْكُـرُهُ يَـوْمـاً فَأَحْسَبُــهُ * * * أَشْـقَى الـبَرِيَّةِ عِنْـدَ اللهِ مِـيزَانا

العشرة المبشرون بالجنة

٢٦٩ فَالسِّتَّةُ الْمَكَمِّلُونَ الْعَشـرَةْ وَسَائِرُ الصَّحْبِ الكِرَامِ الْبَرَرَةْ

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الحُرُوبِ نَعَامَةٌ ... فَتَخَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الْوَغَى ... بِلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ

أفضل الأمة بعد الخلفاء الأربعة لأن الأمة اتفقت على تقديمهم في الخلافة، وفضائلهم كثير معروفة.

وبعدهم باقي العشرة المبشرين بالجنة، وهم كما في حديث رسول الله ﷺ قال: (أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ) [١٦١]

وقد بشَّر رسول الله غيرهم بالجنة، إلا أن هؤلاء كانت لهم الخصيصة لكونهم ذُكِروا في حديث واحد، ورُشِّحوا للخلافة بعد عمر رضي الله عنه، لكن هناك من بُشر بالجنَّة غيرهم، منهم: حمزة بن عبد المطلب، والحسن، والحسين، وبلال، وعكَّاشة بن محصن، وخديجة، وفاطمة، وأم رومان، وغيرهم.

ونقل أبو عثمان الصابوني (المتوفى ٤٤٩هـ) عن أهل الحديث: "ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر صلى الله عليه وسلم خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن نبهان عن سفينة (الخلافة بعدي ثلاثون سنة)" [١٦٢]

قال أبو الحسن الأشعري الذي تاب من عقائد الأشاعرة (المتوفى ٣٢٤هـ): " وأجمعوا

---

[١٦١] رواه الترمذي (٣٤٧٤)

[١٦٢] اعتقاد السلف وأصحاب الحديث.

على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم على ما قال صلى الله عليه وسلم: (خيركم قرني) وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشر، وخير العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضوان الله عليهم" (١٦٣)

أهل البيت

٢٧٠ وأهْلُ بَيْتِ الْمُصْطَفَى الأطْهَارِ وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الأَخيَـارُ

ومن خير الأمة هم أهل بيت الرسول ﷺ، وهم زوجاته، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

ويدخل في أهل البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين

قَالَتْ عَائِشَةُ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ (١٦٤) مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: " ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١٦٥)

---

(١٦٣) رسالة إلى أهل الثغر ص١٧٠

(١٦٤) نوع من الثّياب

(١٦٥) رواه مسلم (٢٤٢٤)

ولأهل البيت مكانة كبيرة عند أهل السنَّة، قال رسول الله ﷺ: (وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي) (١٦٦)

فأما نساء النبي ﷺ ورضي الله عنهن، فقد قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾

وأما عليٌّ فقد ذكرنا بابًا فيه

وأما فاطمة فإنها سيدة نساء هذه الأمّة، فقد قال رسول الله ﷺ: (يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ) (١٦٧)

وأما الحسن والحسين، فإنهما سيدا شباب أهل الجنة، فقد قال ﷺ: (مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) (١٦٨)

يقول الآجرّي (ت٣٦٠هـ): اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ: أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خَطَرُهُمَا عَظِيمٌ، وَقَدْرُهُمَا جَلِيلٌ، وَفَضْلُهُمَا كَبِيرٌ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ

---

(١٦٦) رواه مسلم (٢٤٠٨)

(١٦٧) رواه البخاري (٦٢٨٥) ومسلم (٢٤٥٠)

(١٦٨) رواه أحمد (٢٣٣٢٩) وصححه المحققون. وجاءت رواية: (وأبوهما خير منهما) وإسنادها تالف، فيه "المعلى بن عبد الرحمن" قال عنه الدارقطني: كذاب. وعجيب أن أحد العلماء المعاصرين صححه

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْقًا وَخُلُقًا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هُمَا ذُرِّيَّتُهُ الطَّيِّبَةُ الطَّاهِرَةُ الْمُبَارَكَةُ، وَبَضْعَتَانِ مِنْهُ، أُمُّهُمَا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ، مُهْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَضْعَةٌ مِنْهُ، وَأَبُوهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخُو رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنُ عَمِّهِ، وَخَتَنُهُ عَلَى ابْنَتِهِ، وَنَاصِرُهُ وَمُفَرِّجُ الْكَرْبَ عَنْهُ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَهُ مُحِبِّينَ، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الْكَرِيمُ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الشُّرَفَ الْعَظِيمَ، وَالْحَظَّ الْجَزِيلَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، رَيْحَانَتَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَسَنَذْكُرُ مَا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ بِمَكَّةَ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ مَا تُقَرُّ بِهَا عَيْنُ كُلِّ مُؤْمِنٍ مُحِبٍّ لَهُمَا، وَيُسْخِنُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِهَا عَيْنَ كُلِّ نَاصِبِيٍّ خَبِيثٍ، بَاغِضٍ لَهُمَا أَبْغَضَ اللَّهُ مَنْ أَبْغَضَهُمَا [١٦٩]

وقال: وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَنُو هَاشِمٍ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَوَلَدُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، وَفَاطِمَةُ وَوَلَدُهَا وَذُرِّيَّتُهَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَأَوْلَادُهُمَا وَذُرِّيَّتُهَا، وَجَعْفَرٌ الطَّيَّارُ وَوَلَدُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، وَحَمْزَةُ وَوَلَدُهُ، وَالْعَبَّاسُ وَوَلَدُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَحَبَّتُهُمْ وَإِكْرَامُهُمْ وَاحْتِمَالُهُمْ وَحُسْنُ مُدَارَاتِهِمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ، فَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، فَقَدْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ سَلَفِهِ الْكِرَامِ الْأَخْيَارِ الْأَبْرَارِ، وَمَنْ تَخَلَّقَ مِنْهُمْ بِمَا لَا يُحْسِنُ مِنَ الْأَخْلَاقِ، دُعِيَ لَهُ بِالصَّلَاحِ وَالصِّيَانَةِ وَالسَّلَامَةِ، وَعَاشَرَهُ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ بِأَحْسَنِ الْمُعَاشَرَةِ وَقِيلَ

---

[١٦٩] الشريعة ج٥ص٢١٣٧

لَهُ: نَحْنُ نُجِلُّكَ عَنْ أَنْ تَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقٍ لَا تُشْبِهُ سَلَفَكَ الْكِرَامَ الْأَبْرَارَ، وَنَغَارُ لِمِثْلِكَ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّ سَلَفَكَ الْكِرَامَ الْأَبْرَارَ لَا يَرْضَوْنَ بِذَلِكَ، فَمِنْ مَحَبَّتِنَا لَكَ أَنْ نُحِبَّ لَكَ أَنْ تَتَخَلَّقَ بِمَا هُوَ أَشْبَهُ بِكَ، وَهِيَ الْأَخْلَاقُ الشَّرِيفَةُ الْكَرِيمَةُ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِذَلِكَ [١٧٠]

الصحابة وأتباع الرسول ﷺ

٢٧٠	وأهْلُ بَيْتِ الْمُصْطَفَى الأطْهَارِ	وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الأَخيَارُ
٢٧١	فَكُلُّهُمْ في مُحْكَمِ القُرْآنِ	أثنَى عَلَيْهِمْ خَالِقُ الأكْوَانِ
٢٧٢	في الفَتْحِ والحَدِيدِ والقِتَالِ	وَغَيْرِهَا بِأكْمَلِ الخِصَالِ
٢٧٤	وذِكْرُهُم في سُنَّةِ المختارِ	قَدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمس في الأقْطَارِ

وخير الأمة أصحاب النبي ﷺ عامّة، ثم التابعين بإحسان، فقد أثنى عليهم الله تعالى في كتابه العزيز، في سورة الفتح، وسورة الحديد، وسورة القتال، وهي سورة محمد، وغيرها من السور.

فقد قال تعالى في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ

---

[١٧٠] الشريعة ج٥ص٢٢٧٦

فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

وقال في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

وقال في سورة القتال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

وقال في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

فقد أخرج الله في هذه الآية مبغض الصحابة من جميع أصناف المؤمنين، فالمؤمنون إما مهاجرون، أو أنصار، أو مؤمن يستغفر لهم ولا يحمل في قلبه غِلا عليهم ولا على المؤمنين، ولا يشاء ذلك.

ذكر الصحابة في التوراة والإنجيل

٢٧٣ كَذَاكَ في التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ صِفَـاتُهُمْ معلومةُ التفصيل

ذكر الله تعالى أصحاب محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، وقد أبلغنا بذلك فقال تعالى في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

قال الإمام مالك رحمه الله (المتوفى١٧٩هـ): من أصبح وفي قلبه بغض لأحد من الصحابة فقد أصابته الآية يعني قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[١٧١]

[١٧١] شرح السنة للبغوي، والحلية لأبي نعيم ج٦ ص٣٢٧

السكوت عما شجر بين الصحابة

٢٧٥ ثم السُّكُوتُ واجِبٌ عَما جَرَى بَيْنَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مَا قَدْ قُدِّرَا
٢٧٦ فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُثَابُ وَخِطْؤُهُمْ يَغْفِرُهُ الوَهَّابُ

من أصول أهل السنة: السكوت عمّا شجر بين الصّحابة، وعن الفتن التي وقعت بينهم، ومعنى السكوت: عدم الخوض فيها، وإنما نقول كما علمنا ربنا إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾

قال أبو زرعة (المتوفى ٢٦٤هـ) وأبو حاتم (المتوفى ٢٧٧هـ) الرازيَّان:

أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ:

١- الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ،
٢- وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ،
٣- وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
٤- وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ، وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ،
٥- وَالتَّرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.
٦- وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ،

وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ... [١٧٢]

ونعتقد أنهم كانوا قد اجتهدوا في إحقاق الحق، وهم أهل للاجتهاد، ونسأل الله ان يثيبهم على اجتهادهم وإرادتهم للحق حتى لو أخطأوا، فنحن لا نقول بأنهم معصومون، ولكنهم خير القرون كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، حيث قال: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ) [١٧٣] فهؤلاء الذين ناصروا النبي ﷺ، وقاتلوا معه، وتعلموا منه، وصلوا خلفه، وأمَّنوا على دعائه، وسمعوا القرآن من فيه، وآمنوا بما أخبرهم من وحي ربه، وبلغوه لمن بعدهم، ويكفيهم ان زكّاهم رب العالمين.

فلا يجوز تتبع عثراتهم، ولا تقفي زلاتهم، ولا الإساءة إليهم، قال رسول الله ﷺ: (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ) [١٧٤]

* * *

[١٧٢] شرح أصول الاعتقاد للالكائي ج١ ص١٩٧ المسألة ٣٢١

[١٧٣] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣)

[١٧٤] رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١)

خاتمة

في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو رد

شرط قبول العمل

٢٧٧ شَرْط قُبُولِ السَّعْي أنْ يَجْتَمِعَا — فِيهِ إصَابَةٌ وإخْلَاَصٌ مَعَـا

٢٧٨ لله رَبَّ العَــرْشِ لا سِـــوَاهُ — مُوَافِقَ الشَّرْعَ الَّذِي ارْتَضَاهُ

يشترط للعمل حتى يكون صالحًا شرطان

الشرط الأول: **الإصابة**، أي موافقة الشرع، أي أن يكون العمل مأخوذًا من القرآن أو السنّة، لأن العبادة هي الطاعة، فمن عبد الله بما ليس من أمر الله، فقد خرج عن طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فكل طريقة في التعبد لم يأت بها الرسول ﷺ فليست من الصراط المستقيم، بل هي من السُّبُل التي تفرق الناس عن دين الله.

الشرط الثاني: **الإخلاص**، وهو أن يكون العمل خالصا لوجه الله تعالى، لا يخالطه شرك، قال ربنا الغني في الحديث القدسي: (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ

عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) [١٧٥]

البدعة

٢٧٩ وَكُلُّ مَا خَالَفَ لِلوَحْيَيْـنَ فَإِنَّهُ رَدٌّ بِغَيْرِ مَيْـــنِ

كل عمل في دين الله غير ما أنزل الله وأمر به الله فهو بدعة، وهو ضلالة، فقد قال رسول الله ﷺ: (وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالَةٌ) [١٧٦] فكل ما اختُرِع في دين الله ولم يكن عليه عمل الرسول ﷺ والصّحابة؛ فهو ضلالة، وإن كان ظاهره حَسَن، وإن كان صاحبه يظن أنه يتقرّب إلى الله، فهذا القصد لا يغير من كون العمل ضلالة، لأنه ليس من عند الله، ويُقال لفاعله: مَن الذي شرَّع هذا العمل؟ فإن قال: "الله" فلابد أن يكون جاء عن طريق الرسول ﷺ ثم صحبه، وإن قال: "غير الله"، فلا يجوز فعله، ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ﴾ فشرائع الدين لا يجوز عملها إلا بإذنٍ من الله، فكل عمل في دين الله لم يشرعه الله تعالى، ولم يُنزل الإذن به فهو ضلالة، وفيه اتّخاذ لمشَرِّع غير الله، شرع ذلك العمل، وهذا خطر على الإيمان، فالله تعالى سمى هؤلاء شُركاء، وكأن المتبع لهم اتخذ لنفسه إلها مع الله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ﴾ لأنه لا يحق لأحد أن يشرِّع إلا الله،

---

[١٧٥] رواه مسلم (٢٩٨٥)

[١٧٦] رواه أبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢) والدارمي (٩٦) وصححه المحققون

ولا يجوز أن يُعبّد الله إلا بما شَرَع، بل اتباع ما أنزل الله وعدم الزيادة عليه، ذلك هو العبادة.

وهذا الذي ذكرناه إنما هو في أمور الدين، وليس في أمور الدنيا كالجوال، والسيارة، والكهرباء، والألبسة، فإن هذه من أمور الدنيا، وليست شرائع الدين، فلا تدخل عليها البدعة، ففي الآية: ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ ولأن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ) [١٧٧] وأمرنا هو ديننا، فأي إضافة للدين بدعة ضلالة مردودة على صاحبها، غير مقبولة عند الله.

فكل بدعة ضلالة، ولا يوجد بدعة حسنة. أما قول الرسول ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ) [١٧٨] فذلك في أمور الخير، لا في شرائع الدين، كمن وجد وسيلة ذكية لكفالة الأيتام وعمل الناس بها فقد سن سنة حسنة، ومن وجد طريقة لإيصال صوت المؤذن إلى الناس عبر الأجهزة فقد سن سنة حسنة، ومن عمل برنامجًا حاسوبيًا لحساب قيمة الزكاة، أو تقسيم الميراث، فكل ذلك سنن حسنة، فهذه الأعمال ليست تشريعًا، وفاعلها ما أتى بعمل أضافه إلى الدين، أما من اخترع دعاءً مخصوصا لأمر مخصوص، فقد شرَّع، ومن اخترع صلاة جديدة فقد شرّع، ومن اخترع للمسلمين عيدًا جديدًا فقد شرّع.

---

[١٧٧] رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)

[١٧٨] رواه مسلم (١٠١٧)

المسائل الخلافية

٢٨٠ وكُلُّ مَا فِيهِ الخِلاَفُ نَصَبَا فَرَدُّهُ إلَيْهِمَا قَدْ وَجَبَا

المسائل التي وقع فيها الخلاف بين العلماء؛ يجب ردها إلى القرآن والسنّة، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهذا دليل على أنه ليس كل ما اختلف فيه الناس يُقبل فيه الخلاف، بل يردُّ الخلاف إلى الله، أي إلى كتابه الذي فيه كلامه، وإلى الرسول ﷺ، أي إلى سنّته التي فيها قوله وعمله، فيؤخذ ما وافقهما، أو ما كان أقرب إليها، ويردُّ غيره.

فالمسائل التي حكم فيها القرآن والسنة ثم خالفها مخالف؛ لا تُقبل مخالفته وإن كان عالمًا.

قال الشافعي (المتوفى ٢٠٤هـ): "أجمع الناس على أن مَنْ استبانت له سنة عن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- لم يكن له أن يَدعَها لقول أحد من الناس" (١٧٩)

إلا أنني أذَكِّر أننا لا نتجرأ على رد قول عالم قبل معرفة دليله وحجّته، ولا نرد قوله لأننا سمعنا قولا آخر من عالم نحبه أكثر منه، فالرَّد يكون بالنظر في الأدلَّة، فإن لم تكن أدلة ذلك العالِم صحيحة؛ التمسنا له العذر من خلالها فنعلم أنه استفرغ وسعه في طلب الحق، وهذا ما وصل إليه، فنسأل الله أن يكتب له أجرًا.

---

(١٧٩) الرسالة ص ٤٢٥

كما أن هناك مسائل فيها أكثر من قول، لكل قول أدلة قوية، وتتساوى أدلة القولين تقريبا في قوتها عند أهل العلم -فقوّة الدليل لا يعرفها إلا العالم-؛ فهذه المسائل تسمى بالمسائل التي يسوغ الخلاف فيها، فلا يُنكر من أخذ بقول من الأقوال على من أخذ بالقول الآخر.

فمسائل الدين تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وهو الذي لا يُقبل قول المخالف فيه.

وفي هذا القسم ثلاثة أنواع:

١- مسائل جاء فيها نص صريح.

مثال: قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وقول الرسول ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ» (١٨٠)

٢- مسائل كان عليها عمل الصحابة.

مثال: قال أبو سعيدٍ الخدري: «كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ» (١٨١)

ومثل جواز المسح على الجوربين في الوضوء، فالأحاديث النبويَّة فيه ضعيفة، ولكنه ثبت من عمل الصحابة رضي الله عنهم دون ما نكير على مَن فَعَل

---

(١٨٠) رواه أحمد (٢٤٣٧٢) وصححه محققو المسند، ورواه الدارمي (٢٢٣٠) وقال حسين سليم أسد: اسناده حسن

(١٨١) رواه البخاري (١٥٠٦) ومسلم (٩٨٠٥)

ذلك [١٨٢]

٣- مسائل أجمعت عليها الأمة عليها.

مثال: قال ابن عابدين الحنفي: «الأخذ من اللحية دون القبضة -كما يفعله بعض المغاربة ومخنثة الرجال- لم يبحه أحد» [١٨٣]

القسم الثاني: وهو المسائل السائغة التي لا يُنكَر فيها على الغير، ولكن لا مانع من بيان الأدلة لهم، ونقاشهم فيها.

ولهذا القسم أنواع:

١- مسائل لم يرد نص في القرآن أو السنة في تحديدها

مثال: موضع اليدين في الصلاة عند القيام، فقد ورد وضع اليمين على الشمال، ولم يصح حديث في تحديد كونهما على الصدر أم فوق السُّرَّة أم تحتها [١٨٤]

٢- مسائل يتجاذبها أكثر من نص.

مثال: هل مس الذكر ينقض الوضوء؟

---

(١٨٢) انظر: الأوسط ج١ص٤٦٢

(١٨٣) تنقيح الفتاوى الحامدية ج١ ص٣٢٩

وقوله «المغاربة» يظهر منه أن بدعة حلق اللحية أول ما ظهرت هناك.

(١٨٤) قد يقول قائل: كيف ليس ف هذا عمل صحابة؟ والجواب أن فيه خلاف بينهم. والحديث الذي اعتمد عليه المعاصرون في وضع اليدين على الصدر حديث شاذ والله أعلم.

فمن قال «ينقض» أخذ بحديث «إِذَا مَسَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ»

ومن قال «لا ينقض» أن رسول الله ﷺ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسِّ الذَّكَرِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ بَضْعَةٌ مِنْكَ»

مثال آخر: القنوت في الفجر. فوردت أحاديث أنه لم يترك القنوت، وأحاديث في أنه تركه.

والقائلون بعدم القنوت استدلوا بحديث:

٣- مسائل وردت في أحاديث، اختلف العلماء في صحّتها، فمن صححها قال بها، ومن ضعَّفَها لم يأخذ بالحكم الذي فيها.

مثال: تحريك الاصبع في التشهد في الصلاة. من صحح الحديث الذي ورد فيه تحريك الإصبع قال به، ومن ضعفه قال: «لا يُحَرَّك» ثم اختلف القائلون بالتحريك لعدم وجود دليل يصف لهم كيفية التحريك.

مثال آخر: مسح الوجه بعد الدعاء.

تنبيه: احيانا يكون الحديث ضعيفا عند أهل الحديث ويكن الفقهاء ممن لا علم له بالصنعة الحديثية يحتج به، وهذا لا قيمة له.

٤- مسائل حادثة لم تكن زمن النبوَّة، وليس فيها نص صريح، ولم يُجمع العلماء على حكمها.

مثال: هل الذي دخل صالة الانتظار في المَطار قبل ان يركب الطائرة يعتبر في بلده التي يقيم بها، فيصلي صلاة المقيم ويلزم بالصيام؟ أم يعتبر خارج بلده وله أحكام المسافر لأن صالة الانتظار تعتبر رسميًّا منطقة حرة خارج حدود البلد؟

ومن أمثلتها: حكم الصور الفوتوغرافية، هل هي انعكاس للصورة التي

صوَّرها الله؟ أم هي صورة أخرى صنعها الممسك بجهاز التصوير؟ [١٨٥]

الدين بالنقل وليس بالعقل

٢٨١ فَالدِّينُ إِنَّمَا أَتَى بِالنَّقْــلِ ليْسَ بِالأَوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْلِ

دين الله تعالى أتى بالنقل، أي بما نقله جبريل عن الله تعالى إلى محمد ﷺ، ونقله محمد ﷺ إلى أصحابه، وتناقله أهل العدالة من الأمة حتى وصل إلينا، وهذا هو دين الله، وما سِواه ليس من الدين. فليس الدين بالآراء وبما يشتهيه الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ فقال ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ ولم يقل بما رأيت أنت. مع أن عقل الرسول ﷺ من أكمل العقول وأحسنها، إلا انّ الله سبحانه وتعالى لم يكله إلى عقله ورأيه في أمور الشريعة، وإنما قيّده بما أنزل إليه. فمن جاء بعد الرسول ﷺ من باب أولى أن يتّبع المنقول، ويترك الآراء والأهواء، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فكل من يدّعي أنه يفكر بعقلانية ومنطقية ليردّ بذلك ما ثبت في الكتاب والسنّة فهو مبدّل لشرع الله، وليس على الصراط المستقيم. مع أن الدين لا يخالف العقول السليمة، إلا أن العقل معرَّض للشهوات والوسوسة والشبهات، والدين

---

[١٨٥] ولا تظن أن كونها سميت صورًا فإنها بذلك تدخل في الحديث، لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء المخترعة حديثًا.

محفوظ من عند الله تعالى.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: "لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ إِلَّا اَلَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، لَا أَعْنِي عَامًا أَخْصَبَ مِنْ عَامٍ وَلَا أَمْطَرَ مِنْ عَامٍ، وَلَكِنْ ذَهَابَ عُلَمَائِكُمْ وَخِيَارِكُمْ، ثُمَّ يُحْدِثُ قَوْمٌ يَقِيسُونَ اَلْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ فَيُهْدَمُ اَلْإِسْلَامُ وَيُثْلَمُ" (١٨٦)

قال أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١هـ): "وأما أصحاب الرأي والقياس: فإنهم يسمون أصحاب السنة نابتة وكذب أصحاب الرأي أعداء اللَّه، بل هم النابتة تركوا أثر الرسول صلى اللَّه عليه وسلم وحديثه وقالوا بالرأي، وقاسوا الدين بالاستحسان، وحكموا بخلاف الكتاب والسنة، وهم أصحاب بدعة جهلة ضلال طلاب دنيا بالكذب والبهتان" (١٨٧)

---

(١٨٦) رواه الدارمي (١٩٤) وابن أبي زمنين (١٠) وابن وضاح (٧٨)
عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ اَلشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ
واسناده حسن، فمجالد محله الصدق
وروى مثله الهروي والبزار وغيرهما مرفوعا، قال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا حَدَّثَ بِهِ إِلَّا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ وَلَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهِ. قلت: ونعيم بن حماد أقرب إلى الضعف
(١٨٧) مسائل حرب ص ٣٥٥ - ٣٦٦

آخر القصيدة

٢٨٢ ثُمَّ إلى هُنَا قَدْ انْتَهَيْتُ ... وَتَمَّ مَا بِجَمْعِهِ عُنِيتُ
٢٨٣ سَمَّيْتُهُ بِسُلمِ الوُصُولِ ... إلى سَمَا مَبَاحِثِ الأصُولِ
٢٨٤ والْحَمْدُ لله عَلَى انتِهَائِي ... كَمَا حَمِدْتُ الله في ابْتِدَائي
٢٨٥ أسْألُهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ ... جَمِيعِهَا وَالسِّتْرَ لِلعُيُوبِ
٢٨٦ ثُمَّ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أبَدَا ... تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّداً
٢٨٧ ثُمَّ جَمِيعُ صَحْبِهِ والآلِ ... السَّادَةِ الأئِمَّةِ الأبْدَالِ
٢٨٨ تَدُومُ سَرمَدَا بِلا نَفَادِ ... مَا جَرَتْ الأقْلاَمُ بِالْمِدَادِ
٢٨٩ ثُمَّ الدُّعَا وَصِيَّةُ القُرَّاءِ ... جَمِيعهمْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِثْنَاءِ
٢٩٠ أبْيَاتُهَا "يُسْر" بِعَدِّ الْجُمَلِ ... تَأْرِيخُهَا "الْغفْرَانُ" فَافْهَمْ وَادْعُ لي

ختم الشيخ حافظ حكمي منظومته بحمد الله تعالى على هذا الخير، وبالصلاة على رسول الله ﷺ، وبسؤال المغفرة، ونحن نسأل الله لنا وله ولأئمة المسلمين المغفرة والعفو والدرجات العالية عند الله.

ثم قال: (أبْيَاتُهَا "يُسْر" بِعَدِّ الْجُمَلِ) يقصد حساب الجُمّل، وهو إعطاء قيمة رقمية لكل حرف من الحروف الأبجدية، وكلمة "يسر" تساوي مئتين وسبعين، وهو لم يحسب أبيات المقدمة والخاتمة، فإذا حسبناها؛ تكون أبيات القصيدة مئتان وتسعون.

وقوله (تَأْرِيخُهَا "الْغفْرَانُ") أي تاريخ كتابتها اثنان وستون وثلاثمئة وألف.

وختاما أسأل الله لي أجر ما شرحت، وله أجر ما كتب، ولكم أجر ما تعلمتم، وأن يرفع درجاتنا ويحرم وجوهنا على النار. وأن يجمعنا في أعلى منازل جنته.



المحتويات